وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر الموسومة بـ:

المقاومة الشعبية المسلحة في إقليم توات الكبير من (1850-1918م)

من إعداد الطالبتين:
شريط نورة
بارد رجلين فاطمة الزهراء

الأستاذ المشرف:
د. خنفار الحبيب

لجنة المناقشة	
مداح عبد القادر	مناقشا
خنفار حبيب	مشرفا
حرشوش كريمة	رئيسا

السنة الجامعية: 1441-1442ه/2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر وإمتنان

أولا وقبل كل شيء الشكر لله سبحانه وتعالى على فضله وإحسانه لما انعم به علينا من توفيق وإعانة على إنجاز هذا العمل المتواضع.

ثانيا أتقدم بالشكر والإمتنان إلى الأستاذ المشرف: الأستاذ د. خنفار حبيب على مل ما بذله من مجهودات وتوجيهات لإنجاح هذا العمل

كما نشكر كل من الأ ستاذين تقريني ناصر وشاري بوعلام على مد يد العون لنا.

وفي الأخير نتوجه لخالص الشكر إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

إلى والدي الكريمين حفظهما الله على الدوام

إلى من شاركني طعم الأيام ورافقني على مر الأعوام إخوتي وأخواتي جميعا

إلى من كانتا رفيقتا الدرب شواط صباح وشتوي شريفة نعم العون والسند

إلى أعز الصديقات طول مشواري الجامعي: أمال، صبيحة، سامية، فطيمة.

إلى من أضاء لي طريق العلم معلمين وأساتذتي

إليكم جميعا أهدي ثمرة هذا العمل

نورة

الإهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما بعد:

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى مهداة إلى روحي أبي الطاهرة رحمة الله عليه.

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى أعز وأغلى إنسانة في حياتي التي أنرت دربي بنصائحها ومنحتني القوة والعزيمة ومواصلة الدرب إلى من علمتني الصبر والاجتهاد إلى الغالية على قلبي أمي.

إلى كل العائلة الكريمة التي سندتني ولا تزال من أخوة وأخوات وخاصة أختي العزيزة سارة إلى رفقتي المشوار التي قاسمنني لحظاته ورعاهم الله ووفقه حنان خديجة،

إلى من شاركني وتحملت معي عناء هذا العمل " نورة"

إلى من ساعدني في كتابة هذه المذكرة أخي محمد إلى كل أشخاص الذين أحمل لهم المحبة والتقدير إلى كل من نسيه القلم وحفظه القلب

فاطمة الزهرة

قائمة المختصرات:

تر	ترجمة
ع	عدد
د ط	دون طبعة
د م ن	دون مكان نشر
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
إع	إعداد
تق	تقديم
مج	مجلد
هـ	هجري
م	ميلادي

Page	P
Page continus	PP
Edition	Ed
Bulletins connité d'Afrique Français	BCAF

مقدمـــــــة

مقدمة:

يعتبر الجنوب الجزائري من أهم المحطات البارزة في تاريخ الإحتلال الفرنسي، فبعد أن حكمت فرنسا قبضتها على المناطق الشمالية إنشغلت بإحتلال أقاليمه الجنوبية، ومن بينها إقليم توات الذي كان له حضور قوي ومتميز في الصحراء، بالرغم من قسوة مناخها وشساعة مساحتها و إبتعادها علىى المراكز الحضارية في الشمال والجنوب.

فكانت البعثات العلمية والإستكشافية التي نظمتها فرنس في توات جزء من مخطط تمهيدي لإحتلاله وبسط النفوذ الإستعماري عليه مستعينة بالعديد من الباحثين والمغامرين ورجال الدين بالإضافة إلى الضباط العسكريين لإنجاز التقارير والدراسات التي تمكن السلطة الفرنسية من التعرف على خبايا الإقليم، ودونوا كل صغيرة و كبيرة حوول المنطقة .

غير أن هذا التوغل الفرنسي أصطدم بمقاومة شعبية عسكرية حاولت من خلال الإمكانات المتاحة صد هذا التوغل وهذا ما سنلمسه من خلال المقاومة الشعبية بإقليم توات المعبرة عن رفض التواتيين للإحتلال الفرنسي للمنطقة .

أما الإطار الزماني ولمكاني للموضوع فقد حصر في الفترة الممتدة من 1850-1918م وهي فترة تبدأ فيها الرحلات الإستكشافية لمنطقة توات سنة 1850م وبداية المقاومات والمعارك التي خاضها التواتيون ضد التوغل الفرنسي إلى غاية 1918م أين إحتلت فرنسا إقليم توات، وهناك جملة من الأسباب التي حفزتنا للبحث في هذا الموضوع منها:

السبب الذاتي وهو الميل والرغبة في معرفة تاريخ منطقة توات في الجنوب الجزائري.

أما السبب الموضوعي هو محاولة إبراز منطقة الجنوب ودورها في المقاومة المسلحة في الجزائر،وللموضوع أهمية بالغة بحيث يسلط الضوء على المقاومات التي خاضها التواتيون ضد التوسع الفرنسي في الإقليم.

وعليه نطرح الإشكالية التالية :

ما هي فصول وأحداث المقاومة الشعبية بإقليم توات ضد التوغل الإستعماري في الجنوب في الفترة الممتدة بين النصف الثاني من القرن 19م وبداية القرن العشرين؟

وتتفرع تحت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية أهمها: ما هو دور الرحلات والبعثات الإستكشافية خلال القرن 19م في عملية التوغل والإحتلال الفرنسي في إقليم توات؟

ماهي المراحل التي مر بها الإقليم خلال التوسع الفرنسي؟

ما هي الإستراتيجية التي إعتمدت عليها المقاومة في منع التوسع في المنطقة ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات إستخدمنا المنهج التاريخي السردي خاصة فيما يتعلق بالجوانب التاريخية التي تتناول تاريخ المقاومة الشعبية في إقليم توات وسرد الأحداث وفق تسلسلها الكورنولوجي.

ولمعالجة إشكالية الموضوع قمنا بتقسيمه إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، أما المدخل فعنوناه بلمحة تاريخية وجغرافية عن إقليم توات وتضمن أصل تسمية توات وتفسيرها عند الرحالة والجغرافيين والموقع الجغرافي، والفصل الأول جاء تحت عنوان أوضاع إقليم توات قبيل الإحتلال الفرنسي ويتفرع إلى أربعة مباحث:

_المبحث الأول: الحياة الإجتماعية.

_المبحث الثاني: الوضع السياسي.

_المبحث الثالث: الحياة الإقّتصادية.

_المبحث الرابع: الحياة الثقافية والعلمية.

أما الفصل الثاني فعنوناه بـــ :الإحتلال الفرنسي لإقليم توات الكبير ورد الفعل المحلي وينقسم إلى ثلاثة مباحث:

_المبحث الأول: الحملات والبعثات الإستكشافية التجسسية.

_المبحث الثاني: التوسع الفرنسي في منطقة تيديكلت.

_المبحث الثالث: التوسع الفرنسي في منطقة توات وقورارة.

وأنهينا موضوعنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها في البحث وهي عبارة عن استنتاجات لأهم المعارك التي خاضها التواتيون ضد التوغل الفرنسي، وأهم الطرق التي إعتمدت عليها فرنسا للتوسع في الإقليم.

وللتوسع في هذا البحث لجانا إلى استخدام مجموعة من المصادر والكمراجع جاءت باللغتين الفرنسية والعربية.

1. الكتابات والدراسات الفرنسية:

- مذكرات هنري دوفيري "مذكرات طريق وطوارق الشمال Les Touareg du nord" الذي أفادنا في معرفة الرحلة التي قام بها والأهداف المستخلصة منها.
- مذكرات اسماعيل بوضربة "Voyage a, Rat" الذي ساعدنا في معرفة أهم الرجلات التي كانت في منطقة توات.

2. الكتابات والدراسات العربية:

- إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934م الذي أفادنا في معرفة أهم المعارك والمقوامات التي قام بها سكان توات ضد التوسع الفرنسي.
- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 12-13ه الذي ساعدنا في معرفة أوضاع إقليم توات قبيل الإحتلال الفرنسي.

ومن الشيء الجدير بالذكر أن الكتابات المحلية المتخصصة في تاريخ المنطقة كانت قليلة في تلك الفترة ما عدا بعض القصائد التي خلدت بعض المعارك من الشعر الشعبي.

وككل بحث لا يخلوا من الصعوبات والمعوقات بحيث واجهتنا في إنجاز هذا العلم صعوبات عدية منها أغلب المصادر التي تطرقت إلى تاريخ المنطقة عبارة عن مخطوطات وبالتالي صعوبة الحصول عليها من خزائن أدرار، أما ما تحصلنا عليه فكان غير كاف للدراسة، وكذلك قلة المادة العلمية في المصادر المطبوعة التي كانت أغلبها معلومات عامة غير متخصصة.

مدخل: لمحة تاريخية وجغرافية عن إقليم توات

إقليم توات:

أصل التسمية:

اختلفت المصادر حول أصل تسمية توات على الرغم من أنمعظمها يستند الى الدراسات اللغوية الاشتقاقية، وقد انقسمت في مجملها إلى رأيين بارزين يمثل الرأي الأول المؤرخون المحليون بمنطقة توات ويمثل الرأي الثاني المؤرخون الغربيون ومن أهم الروايات التي فسرت كلمة توات نجد:

أ-التفسير التاريخي:

الرواية الأولى: صاحبها هو أبو عبد الله محمد الأنصاري في مؤلفه (فهرست الرصاع) حيث ذكر أن اسم توات هو أحد البطون المنحدرة من قبائل الملثمين إذ قال: "**...والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب، عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق، ومنهم طوائف التوارق ولمتة ولمتونة والتوات ...**"[1].

الرواية الثانية: وصاحب هذه الرواية هوعبد الرحمان السعدي صاحب كتاب (تاريخ السودان)[2]حيث ذكر أن أصل الكلمة جاء من منطقة التكرور[3]، فالسلطان كنكان

[1]- الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1976، ص127.

[2] عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، ط، هو داس، باريس، 1981، ص7.

[3] التكرور: شعب من الزنوج يسكن معظم وهاد فوتة السنيغالية، وتعيش شعبة منهم فيها بين النيجر وبحيرة تشاد ولاسيما

في سكونو، ومن المحتمل انه الاسم الذي كانت به مدينة بالقرب من نهر السنيغال والمملكةالتي كانت عاصمتها هذه وموضعها الآن مدينة فوتة السنغالية، ثم أطلق هذا الاسم على شعب هذه المملكة وجرى العرب بعد إطلاق اسما لتكرور على جميع بلاد السودان، ينظر محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الاذهان بسيره بلاد العرب والسودان، تح: خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، مر: مصطفى زيادة الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965، ص135.

موسى[1] حاكم مالي[2] لما حج مر بإقليم توات فأصاب كثير من أصحابه مرض يأتي في الأرجل يسمى توات، فبقوا هنالك واستوطنوا ولم يستطيعوا إكمال السفر مع ملكهم ومنذ ذلك الحين سمي المكان بذلك المرض.

الرواية الثالثة: وهذه الرواية منقولة عن محمد بن أمبارك، حيث يقول إن أصل كلمة توات أعجمي وقد أطلقها قبائل من لمتونة[3] عندما لجأت إلى الإقليم في منتصف القرن 6هـ/12م[4].

الرواية الرابعة: وهذه الرواية لمحمد بن عومر بن محمد المبروك البداوي صاحب مؤلف "نقل الرواة عمن أبدع قصور توات"وقد ذكر أن أصل التسمية يرجع لعهد الفتح الإسلامي للمنطقة حيث فتح عقبة بن نافع المغرب.

وبعد وصوله إلى توات سنة 62هـ/681م، سأل إذا ما كانت المنطقة تواتي لنفي العصاة فأجابوه بأنها تولتي فأنطلق اللسان بذلك[5].

---

[1] كنكان موسى: سلطان مالي من أعظم السلاطين أشهر برحلته إلى الحج حكم في الفترة ما بين (738-742ه/1337-1341م) وعرفت المملكة في عهده أقصى اتساعها، ضم مملكة غانا وهو من أبرز الشخصيات التاريخية في أسرة كيتا.حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل دار المعارف القاهرة 2003 ص 7.

[2]-مالي: يمتد هذا الإقليم بمسافة نحو مائة فرسخ، طوال شطر من نهر النيجر وتجاوره غينيا جنوبا، والصحراء مع سلسلة من الجبال شمالا وإقليم كاو قبلة، والمحيط غربا أسسها آل أسكية، لم تعمر إلا زهاء ستين عاما، ثم دخلت جيوش أحمد المنصور لتتفتت بعدها. ينظر: مارمول كربخال، إفريقيا.ترجمة: محمد حجي ومحمد زينبر ومحمد الأخضر وآخرون، الرباط، المغرب للنشر، 1408-1409ه/1988-1989.ج3. ص، ص: 200-201.

[3] لمتونة: مجموعة كبرى من القبائل البرانس المنهجية من بينها لمتونة وجدالة وكانت مواطنها الاصلية بالصحراء الكبرى بين المغرب والسودان الغربي.ينظر سليمان الطيب محمد، موسوعة القبائل العربية. مج1 مج2 ط2، دار الفكر العربي. 1997م. ص1056.

[4]-مبارك بن الصافي الجعفري، العلاقات الثقافية بين التوات والسودان الغربي خلال القرن 12ه، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 24-25.

[5]- محمد بن عمر البداوي، نقل الروات عمن أبدع قصور توات. مخطوط مكتبة زاوية تنلان، أدرار و، 4، و، 05.

الرواية الخامسة: وصاحب هذه الرواية محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطـــي، يذكر أن الموحدين بعد استيلاءهم على المغرب أمر عامليها علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لجمع الأتوات من أهل الصحراء سنه 565ه، فعرف أهل هذه المنطقة بأهـــل الأتوات. ومع مرور الزمن حذفت الألف واللام والهمزة، فصارت تدعى توات[1].

الرواية السادسة: يذكر مولاي أحمد الطاهر الإدريسي بأنها سميت بهذا الاسم لأنها مكان تواتي للعبادة، أي تليق بها لان كل من قدم إليها كان من الأولياء المتعطشين للعبادة فلذلك سكنها كثير من اولياء الله الصالحين[2].

أما **التفسير اللغوي:** فقد تعددت رواياته من أهمها:

الرواية الأولى: وهي تفسير آخر لمحمد بن عبد الكريم البكراوي حيث أوجد للفظ تـــوات مستندا لغويا، قال في المصباح: "التوت هو الفاكهة والجمع أتوات" فعرف أهل هذه الـــبلاد بأهل الأتوات فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصارت "تـــوات" بعـــد حـــذف التعريف والمضاف وصار هذا الاسم يطلق على هذا القطر الصحراوي من تبلكوزة إلـــى عين صالح[3].

الرواية الثانية: وهي التي ذهب إليها المؤرخ الغربي روكلس RECLUS والذي يقـــول إن توات اسم بربري يعني الواحات[4].

---

[1] محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمطيطي التواتي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانـــة الشيخ عبد الله البلیالي الجزائر، كوسام، أدرار و و: 08-10.

[2] مولاي أحمد الطاهر الإدريسي، نسيم النفحات في ذكر ما جاء من اخبار توات ومن دفن فيها من اولياء والصـــالحين والعلماء والعاملين التقات، مخطوط بزاوية تسفاوت بأدرار، و05.

[3] سالمي زينب الحركة العلمية في اقليم توات خلال القرن 08-09ه، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير فـــي تـــاريخ المغرب الإسلامي، الجزائر، جامعة أبو بكر بلقايد 2011-2012 ص ص: 4-5.

[4] سالمي زينب، المرجع نفسه، ص6.

الرواية الثالثة: وصاحبها المؤرخ ماندوفيل MANDEVILLE حيث يرى أن إسم توات أطلقه الطوارق والعرب على مجموعة الواحات التي تنتشر بالمنخفض العميق لواد الساورة وواد مسعود[1].

الرواية الرابعة: والتي يرى فيها مارتن martin وهو أحد الفرنسيين الذين اهتموا بتاريخ المنطقة أن كلمة توات تعود أصولها الى كلمة oasis الإغريقية، وتعني الواحة وهية مركبة من مقطعين ou الذي يتطابق معoua الأمازيغية الذي مفرده يتم لإفاقه الحرف الأمازيغي "ت" أي "T" لطرف المفرد Ou على لهجة زناته فتصبح touat بمعنى الواحة في اللغة الأمازيغية[2].

ومن خلال ما سبق ذكره عن تسمية توات يتضح انها شملت تفسيرات عديدة منها من كان تاريخي ومنها من كان لغويا الى انها كانت هذه الاخيرة وهذا يتطلب الى المزيد من الدراسات للوصول الى المعنى الحقيقي لهذه التسمية والجدير بالذكر ان جل المؤرخون يتفقون على أصل التسمية بربري لاعتبارات كثيره منها:

- جل قصور توات لها تسميات بربرية (تسابيت، تبلكوزة، تمنطيط)
- أنواع التمور لها أسماء بربرية (تيناصير، تيلمسو، تيهود)[3].

الموقع الجغرافي لإقليم توات:

يقع اقليم توات **(الملحق رقم1)** فيالجنوب الغربي للجزائر. يشمل على عدد من الواحات والمدن والقصور تزيد على الثلاثمائة واحة تغطي حوالي ألف ميل مربع. يحدها من الشمال صحراء تنزروفت ووادي قاريت وجبال مويدرا، ويحده من الشرق العرق

[1] عبد الله مقلاني، رموم محفوظ، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة الحرفية بإفريقيا الغربية، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر 2009، ص27.

[2] سالمي زينب، المرجع السابق، ص6.

[3] مبارك بن الصافي الجعفري، المرجع السابق، ص36.

الشرقي الكبير المحاذي لواد الماية ويحده من الغرب واد الشاورة وروافده من واد مسعود المتفرع[1].

ينقسم إقليم توات الى ثلاث أقاليم **(الملحق رقم2)** هي: إقليم تيكورارين (قورارة)[2]، إقليم تيدكلت، وإقليم توات الوسطى[3]:

إقليم تيكورارين:

تقع منطقة تيكورارين شمال توات يحدها من الشمال والشمال الشرقي العرق الغربي ومن الجنوب هضبة تادمايت، ومن الشرق الحوض الشرقي لواد الساورة. تبعد بحوالي مئة وعشرون ميلا تقريبا.تحتوي حوالي خمسين قصرا أو أكثر، ومن بين قصورها أوقرت، قصور تبلكوزة، القصور الشرقية والغربية وقصور أولاد سعيد.

أما تسمية تيكورارين فتعني بالأمازيغية "المعسكرات"، وعاصمتها تيميمون وقصور أولاد سعيد وقصور تسابيت وغيرها، وباعتبارها ملتقى لطرق القوافل التجارية جعل سكانها أناس أغنياء يشتغلون بالتجارة مع بلاد السودان الغربي خاصة، ونظرا لوقوع إقليم تيكورارين ضمن النطاق الصحراوي، أدى الجفاف إلى ندرة الثروة الحيوانية، إذ تتخلله بعض الأودية الجافة كوادي، أمقيدن ووادي صالح.

إقليم تيدكلت:

هو منطقة شاسعة تقع ما بين الهقار وتيكورارين ينتشر فيها النخيل والفقاقير من أهم قصورها: قصر أولف، قصور أقبلي، قصور تيط وقصور عين صالح[4].

---

[1] محمد الصّالح حوتيّة، توّات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي) ج1، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية. دار الكتاب العربي، 2007، ص28.

[2] **قورارة:** تقع شمال إقليم توات يحيط بها العرق الغربي من جهة الشمال وشمال الشرقي و من الجنوب هضبة تادميت ومن شرق الحوض الشرقي لواد الساورة، أسماء أبلايلي، اقليم توات (أدرار حاليا) في مشروع فصل الصحراء (1960- 1962)، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع1، جامعة غرداية، 2016، ص54.

[3] حسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد عبد الرحمن حميده، مكتبة الأسرة 2005، ص ص505-506.

[4] حسن الوزان، المصدر نفسه، ص134.

وقد اختلف المؤرخين في تحديد المنطقة جغرافيا في فالعياشي الذي مر بـــه أثنـــاء رحلته لأداء فريضة الحج حددها من قرية عريان الرأس[1] بمقاطعة تسابيت[2] والتـــي قـــال عنها بأنها "أول عمالة توات"[3].وأما ليون الإفريقي حسن الوازن فاكتفى بوصف مقـــاطعتي تسابيت وتيكورارين.

منطقة توات الأصلية:

تقع منطقة توات ما بين نهايات الهضبة العليا لقورارة التي تكون الحافة الشرقية لواد مسعود والحافة المقابلة له المسماة العرق الغربي، يحده شمالا العرق الغربي الكبير وعرق الراوي وإقليم القورارة، أما غربا فيحده وادي مسعود، ومن الجنوب الغربي عرق الشاش، وشرقا هضبة تادمايت ومن الجنوب الغربي إقليم تيديكلت وجنوبا تنزروفت[4].

---

[1] **عريان الرأس:** هو الشيخ محمد بن صالح تلميذ الولي المشهور الصالح"سيدي أبي الرواين"دفين مكنـــاس بـــالمغرب الأقصى، ينظر العياشي أبو سالم، ماء الموائد، ج1، مطبوعات دار الغرب للتـــأليف والترجمـــة والنشـــر، المغـــرب، 1977م، ص20.

[2] **تسابيت:** تبعد بنحو250ميل شرقا و100 ميل عن الأطلس، من قصورها: عريان الـــرأس، وأبرتكـــان، وحمـــادى، وعمور، والأعياد، ووجلان، والمغير، والهبلا والسبع.سكانها فقراء فلا ينبت في أرضهم سوى التمر والقليل من الشعير ينظر حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص133.

[3] أبو سالم عبد الله بن محمد العياش، الرحلة العياشية1661-1663م، ج1، تج وتقديم: سعيد آل سليمان القرشـــي، دار السويدي، ط1، ابوظبي، 2006، ص79.

[4]-**تنزروفت:** يطلق عليها صحراء العطش وهي من اشد المناطق قحولة تقع غربي الكحلة الوسطى بين أحنات وأدرار الايفوغاس يبلغ عرضها 500 كلم تنعدم بها الحياة النباتية والحيوانية فهي الصحراء القاحلة بما تحمله الكلمة من معنى، ينظر ريمون فيرون، الصحراء الكبرى، تر: جمال الدين الديناصوري، مرا: نصرى شكوى، مؤسسة ســـجل العـــرب، القاهرة، 1963، ص36.

حدود وتضاريس إقليم توات:

باعتبار منطقة توات واقعة في المجال الصحراوي فإن السمة الغالبة عليها هي استواء أرضها، فهي على العموم مسطحة الشكل تتألف من الرق والعرق.والسبخة والهضبة والحمادة والوديان[1].

تعتبر الواحات التي تشكل على حوافي الأودية مناطق مأهولة بالسكان نظرا لتواجد عنصر الماء الضروري للحياة بمناطق الصحراء، وتنبع من هذه الأودية من جبال الأطلس وتصب في وادي الساورة تتحول إلى مياه جوفية تزود قورارة وتوات وتيديكلت، وهذه الأودية

هي وادي مقيدون[2]، الذي ينتهي بمنطقة القورارة ثم وادي مسعود[3] بمنطقة توات، ووادي قاريت[4] بتيديكلت وبفضل هذه الأودية تزخر توات بمياه جوفية كثيرة تسقي بها البساتين والجنان، كما اهتم التواتيون بحفر الفقارات.

لا تختلف المنطقة في تضاريسها عن المناطق الصحراوية، وأهم معالم سطحها: السهول الرملية أو العروق أهمها العرق الغربي الكبير وعرق الشاش...، أما بالنسبة للشطوط والسباخ فتتركز أساسا في منطقة تيديكلت أين تصب العديد من الأودية أهمها:

---

[1] عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية، الرباط، 1396هـ/1976م، ص119-151.

[2] **وادي مقيدون:** هو امتداد لوادي سقور ينبع من منيعة ويتجه غربا حيث يتلاشى ويظهر من جديد باسم وادي شيدون، ينظر فرج محمد فرج، اقليم توات خلال القرنين 18 و 19م، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1977، ص12.

[3] **وادي مسعود:** يتكون من إتحاد واد قير مع وادي زوزفانة عند فجيج يتجه نحو الجنوب وهناك يطلق اسم وادي مسعود وعندما يصل إلى تسفاوت يصبح سبخة. ينظر المرجع نفسه، ص152.

[4] **وادي قاريت:** يأتي من الشمال الشرقي لمنطقة تيديكلت يتجه جنوب غربها ويصل في نهايته بوادي مسعود ويصبح رافدا له، فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص162.

سبخة مكرغان، جنوب أقبلي، وسبخة أزل ماتي، إلى الجنوب الشرقي من رقان وفي توات الوسطى سبخة توهات، بين رقان وتيمي، وسبخة تمنطيط وفي المنطقة الشمالية نجد سبخة تينجورارين.

أما الرق فيشغل مساحات واسعة من الإقليم ويمتد من هضبة تادمايت.

شرقا إلى عرق الشاش غربا على شكل منبسط حصوي تتخلله بعض الكتل الصخرية والأودية والمرتفعات، يرتفع كلما اتجهنا إلى الشرق قادمين من الغرب، متوسط ارتفاعه بين 200 إلى 300م على سطح البحر[1].

يسود الإقليم مناخ صحراوي جاف يتميز بالحرارة الشديدة في فصل الصيف والبرودة في فصل الشتاء مع الجفاف طول أيام السنة، كما أنه يتعرض إلى زوابع رملية قوية كما أن المنطقة نادرة الخضرة باستثناء بعض النباتات الشوكية وعلى الرغم من هذه الطبيعة القاسية فإن الإنسان عرف كيف يتأقلم معها ويستقر فيها بسبب وجود المياه الذي يعتبر شرط أساسي من شروط تعمير الإنسان لمنطقة تحتوي على مياه جوفية هائلة وتستغل عن طريق حفر الأبار والأبار العميقة إذ انتشرت بها تقنية الفقارات التي يبلغ عددها بضع مئات ويبلغ طول بعضها عدة كيلومترات يخضع استعمالها لقواعد دقيقة[2].

وعلى الرغم من طبيعة المناخ الصحراوي القاسية والمعروفة بمناخها الحار والجاف وخلوها من الغطاء النباتي وشدة رياحها إلى أن ذلك لم يقف حاجز أمام السكان للاستقرار بها ولقد كانت توات منطقة مأهولة بالسكان منذ القدم[3].

توات في كتب الرحالة والجغرافيين:

جاء وصف وذكر أهمية الإقليمية في المصادر الجغرافية والتاريخية وكتب الرحالة فقد أشار ابن حوقل لصحرائها بقوله: "...وبين بلاد السودان وأرض المغرب في أطرافها

---

[1]- الأطلس العالمي، المعهد التربوي الوطني والديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر، ب-ت، صص18-19.

[2]- مقلاتي عبد الله، رحيالي حياة، دور إقليم توات في التواصل الحضاري مع منطقة السودان الغربي،ص2

[3]- ابن حوقل: صورة الأرض، طبعة بريل، ليدن، 1938م، ص83.

سكان من البربر ومفاوز وبراري منقطعة، قليلة المياه متعذرة المراعي، لا تسلك إلا في الشتاء...[1].

وقد ذكرها الرحالة ابن بطوطة قائلا: "...وقصدت السفر إلى توات ثم وصلنا بودا وهي من أكبر قرى توات، وأرضها رمال سباخ، وتمرها كثير وليس بطيب، لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة سنة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب..."وأكل أهلها التمر والجراد وهو كثير عندهم[2].

ويعتبر ابن خلدون من المؤرخين الذين بينوا الأهمية الاقتصادية لتوات حيث ذكر: "...لقد كانت بلد بودى وهي أعلى تلك القصور بناحية المغرب من السوس هي الركاب إلى ولاتن الثغر الأخير من أعمال مالي، ثم أهملت لما صارت الأعراب من بادية السوس يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقها، فتركوا ذلك ونهجوا الطريق إلى بلد السودان من أعلى تمنطيط..."[3].

أما حسن الوزان(الأسد الإفريقي)في كتابه وصف إفريقيا، فقد وصف كل من تسابيت وتيكورارين ولكنه لم يتطرق إلى توات الوسطى، فقال عن تسابيت أنه إقليم مأهول من صحراء نوميديا، سكانها فقراء، لاتنبت أرضهم غير التمر والقليل من الشعير بشرتهم سمراء، إلا أن نسائهم جميلات سمروات...".

أما تيكورارين فقال عنها: "**...منطقة مهولة في الصحراء نوميديا...سكانها أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب بسلعهم إلى السودان...**"[4].

---

[1]- ابن حوقل، المصدر نفسه، ص83.

[2] ابن بطوطة محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق على المنتصر الكتاني، ج2، ط4، مؤسسة الرسالة، 1985م، ص280-281.

[3] ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في الأيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبرج6، تحقيق خليل شحادة مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، لبنان، 2001م، ص280-281.

[4] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص133-134.

وقال عنها العياشي صاحب الرحلة العياشية: الذي مكث بقرى تسابيت التي اعتبرها أول عمالة توات. ستة أيام كاملة أثناء رحلته للحج مما مكنه من التعرف على أهلها وإدراك بعض طبائعهم وهو مصدر هام أشار إلى المنطقة قائلا: ودخلنا إلى أول عمالة توات وهي قرى تسابت، وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح المتبرك به حيا وميتا سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس.

وأقمنا بها ستة أيام بعنا بها خيلنا، واشترينا ما يحتاج إليه من تمر.

فالطابع الغالب على هذه البلاد في نظر العياشي هو التجارة، لأنها مجمع القوافل الآتية والعابرة إلى مختلف الأصقاع، وهي سوق رائدة في صرف الذهب والعملات فإن الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر"[1].

وهذا الفشتالي يؤكد ويثبت تلك أهمية والشهرة اللتين حظي بهما الإقليم التوالي وميزاته السكنية والسكانية، حيث وصفه قائلا: **"هذا إقليم المفرع إلى قطر توات وهو أوسع وطنا وأفسح مجالا وأقرب للسودان اتصالا وجوراً وإلى قطر تيكورارين، وهو أعظم إشتهار أو أعرف نقيبا وأشد شوكة وأخشن جانبا، وأعظم أقاليم المغرب وأكثرها أمما وأفسحها خطة، انتظم عرانه واتصلت قصوره وتراصف نخيله على مسافة ثلاثين مرحلة أو أكثر..."**.[2]

[1] العياشي عبد الله بن محمد، المصدر السابق، ج1، ص79.

[2] الفشتالي عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، عبد الكريم، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب، 1972، ص73.

الفصل الأول: أوضاع توات قبيل الإحتلال الفرنسي.

المبحث الأول: الحياة الإجتماعية.

المبحث الثاني: الوضع السياسي بإقليم توات.

المبحث الثالث: الحياة الإقتصادية.

المبحث الرابع: الحياة الثقافية.

الفصل الأول: أوضاع توات قبيل الإحتلال الفرنسي.

عرف إقليم توات إزدهارا وتطورا في مختلف المجالات: إجتماعية، سياسية والإقتصادية، ذاع صيتها بين القرنين الثامن والعاشر هجريين، هذا التطور ساهمت فيه مجموعة من العوامل جعلت منه محل أطماع الدول الأوربية وبخاصة فرنسا. وهذا ما ستعرضه في هذا الفصل.

المبحث الأول: الحياة الإجتماعية.

1. عناصر السكان (مكونات المجتمع التواتي وطبقاته):

عاش في الإقليم مزيج كم الشعوب والأجناس والطوائف، شكلت فسيفساء بشرية يعود السبب في تشكيلها إلى الهجرات المتتالية التي عرفها من مختلف الجهات الشمالية والجنوبية، الشرقية منها والغربية. بالإضافة لوقوعه بين المناطق عرفت بإضطراباتها وكثرة الضراعات بداخلها، مما جعله نقطة جذب السكان الباحثين على السكينة والأمن، هاجروا إليه منذ أزمنة غابرة فرادى وجماعات وأهم العناصر السكانية التي بنت تركيبتها الإجتماعية نجد:[1]

أ- البربر:

• **زناتة:** تعتبر القبائل الزناتية أول القبائل البربرية التي إستقرات بتوات وعمرتها، إذ إستوطنت المنطقة قبل الفتح الإسلامي وبعد عملية الفتح في بلاد المغرب سنة 681 ه من طرف عقبة بن نافع الفهري. ومن بين قبائلهم المستقرة بتوات بني يلدس وبني يالدن، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "... ومن بطون بني ومانو هؤلاء القبائل بني يالدس وقد

[1] عبد الله مقلاتي، رموم محفوظ، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة الغربية بإفريقيا الغربية، دار الشروق، الجزائر، 2009، ص 25.

يزعم الزاعمون أنهم من مغراوة ومواطنهم متصلة قبلة المغرب الأقصى والأوسط وراء العرق المحيط بعمرانهم المذكور..."[1]

• **اللمتونيين:** وأهم قبائلهم الملثمين احد قبائل سنهاجة، حيث يعتبر اللمتونيون أول من نزل بتمنطيط وبنو قصرها الأول بعد سقوط دولتهم بالمغرب والأندلس على يد الموحدين سنة 541 ه/ 1147 م، جاؤوا إليها فارين وهاربين وعندما وجدوها أرض جذب عرفوا انها آمنة فإستوطنوها، وكان أول قصر بنوه بها (تيلوت)، ثم أضافوا مسجد (ترنكيبت)، كما بنو فقارة[2] يهنوا، ومن بين قبائلهم نجد أيوسف أتمحمد، أمحمد.[3]

وبهذا يكون البربر قد شكلوا مجموعة بشرية كبرى متداخلة كان لها دور إقتصادي وسياسي وحضاري هام، وغير دليل على ذلك التسميات البربرية للقضور والمناطق والنخيل ولم يتوقف نزوح هذا القبائل على الإقليم إلى غاية القرن 7 ه/ 13م.[4]

ب- العرب:

وهم المكون الثاني من مكونات المجتمع التواتي بعد البربر، وبدؤوا بالتوافد على الإقليم مع مطلع القرن 7 ه وكان توافدهم على شكل هجرات فردية بهدف الإستقرار وبحثا عن الأمن. ومن أهم القبائل العربية المتواجدة بالإقليم نجد:[5]

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تص: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000، ص 78.

[2] فقارة: نظام ري تقليدي خاص بإقليم توات، يتم إستنباط المياه عن طريق حفر الآبار العميقة وإستخراج الماء منها ونقله عبر قنوات طويلة. ينظر: إبن خلدون، المصدر السابق، ص 77.

[3] أبو العباس أحمد خالد الناصري، الإستقصار لأخبار المغرب الأقصى. الدولة المرابطية والموحدية، ج2، تح: جعفر الناصري ومحمد النصاري، دار الكتاب، المغرب، 1997، ص ص 78 79.

[4] مبارك بن صافي الجعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن الثاني عشر هجري، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 41.

[5] عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 39.

- **الأشراف:** ينتسب الشرفة إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويحتفي بهم أهل توات ويحطنهم بالاحترام والتقديس، وينتشر هؤلاء الأشراف في كامل القرى والقصور لمنطقة توات، ينتمي أغلبهم إلى المغرب.[1]
- **الخنافسة:** انتقلوا إلى الإقليم خلال القرن السادس هجري، واستقروا في المنطقة، وأحدثت هذه القبائل وقعا إيجابيا على الإقليم فبفضلها تبوأت اللغة العربية مكانة هامة كما مكنت من إنتشار الدين الإسلامي.[2]

ج- الحرثانيين (الحراطين):

يرى بعض المؤرخين أن كلمة حرطاني مشتقة من الحرثاني، في حين يرى البعض الآخر أن أصلها بربري وهو أحرضان ومعناه بالعربية الهين، والحرطانيين هم أولاد الأحرار من الجواري، ذوي بشرة سوداء خاصيتهم أمهم أحرار.[3]

يرى عبد الرحمان السعدي أنهم من بقايا أتباع السلطان منسى موسى الذين تخلفوا بعد أن أصابهم المرض، ونظرا لأن مكانتهم كانت أقل من مكانة الطبقتين السابقتين بحكم مولدهم فإن فرض العمل كانت محدودة أمامهم فالأعمال التي كان يعزف عنها الأشراف والأحرار كانوا يزاولونها هم كبيع اللحوم والزراعة وبعض الحرف الأخرى.[4]

قدموا من شمال المغرب الأقصى، وهم بعتزون بنسبهم الشريف ويتمتعون بمكانات مرموقة داخل المجتمع التواتي، بحيث يذكر أحمد الجعفري أن أغلب الرواة اعتبروا

---

[1] عبد الرحمان بعثمان، القضاء في منطقة توات خلال 17 و18م، أطروحة الدكتوراه، جامعة وهران 1، 2015-2016، ص86.

[2] محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة والثامن عشر والتاسع عشر ميلادي دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج 2، دار الكتاب العربي ، الجزائر، 2007، ص 71.

[3] بقادر عبد القادر، جهود علماء توا في الدرس اللغوي خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين دراسة في الأنماط والأشكال، مجلة الأثر، ع: 19، جانفي 2004، ص 90.

[4] عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، مذبعة هوداس، باريس، 1981، ص 07.

البداية الفعلية لقدوم هذا النسب إلى إقليم توات سنة 580 ه مع رحلة الشريف سليمان بن علي سنة 570 ه لتتوالى بعدها رحالات الشرفاء نحو توات.[1]

• **عرب المعقل:** إستقروا بتوات بعدما إستغلوا ضعف الدولة المرينية والصراع القائم بين القبائل الزناتية، فإستقروا ببودة وتمنطيط وتسابيت وتيكورارين، وفرضوا الاتوات والضرائب على القبائل الزناتية.[2]

• **عرب بن هلال:** إنتقل الهلاليون إلى توات سنة 1112م، واستقروا بها بعدما إستولو على قصور زناتة وفرضوا الجزية عليهم ويذكر مارتن أن الهلاليين وجدوا بالمنطقة قبل هذا التاريخ وتحديدا زمن عقبة بن نافع الفهري وقدموا إليها من العراق، ومن بين هذه القبائل نجد أولاد محمد (استقروا بالقراراة)، أولاد طلحة (أقاموا بتلالت).[3]

د- العبيد:

كان العبيد يجلبون من السودان الغربي، وكل من كان يقع في الأسر أو يخطف ويباع إلى التجار فيؤتى بهم إلى بلاد المغرب، تزايدت أعدادهم بتوات منذ إستقرار العرب بها، عاشوا حالة إجتماعية سيئة بسبب إهمال أسيادهم لأوضاعهم، عملوا الأعمال الشاقة كالزراعة والرعي، وحفر الفقارات وحراصة الحيوانات.[4]

ه- اليهود:

هاجر اليهود إلى توات في فترات متقدمة قبل الفتح الإسلامي واستقروا بها، ويرى الباحث اليهودي جاكوب أوليل (Gacoboleil) أن المنطقة عرفت ثلاثل هجرات رئيسية لليهود، الأولى كانت في القرن الثاني للميلاد بين سنتي 132م-135م إنطلقت من ليبيا

---

[1] احمد بن الصافي جعفري، من تاريخ توات، أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، د س، ص 57.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 78 79.

[3] Martin A-G-P, les oasis saharaennnes; (Gourara-Touat Tidiklt), le primerie algerienne , Alger, 1908, P76.

[4] بهية عبد المؤمن، الحياة الإجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (18-19م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2006/2005، ص ص 51 53.

وصحراءها بإتجاه توات، أما الهجرة الثانية فكانت من الموصل وإتخذت مع اليهود خيبر مرورا بالصحراء المصرية الليبية لتتجه نحو توات، وفيما يخص الهجرة الثالثة فكانت من الأندلس خلال القرن الثامن ميلادي، ويبدوا أن أغلب هؤلاء اليهود إستقروا بتمنطيط وبنوا قصورا بها.[1]

أما مارتن فأرجع بداية الهجرة اليهودية للمنطقة سنة 517م، ولم يتوقف تدفقهم إلى المنطقة إلى في القرن 15م مع بداية محاربة المغيلي لهم وتمنطيط وحددت في التريخ ما يعرف بنازلة اليهود.[2]

2.العادات والتقاليد:

رغم أن الجماعة التواتية جماعة طبقية في تركيبتها إلى أن روح المؤاخاة والتعاطف تسود أفراد الجماعة، يرجع هذا إلى أن المجتمع التواتي مجتمع متدين، غرس الإسلام في نفوس أهله المحبة والتعاطف التي لمسها كل من زار الإقليم، ومن أهم العادات والتقاليد التي يسلكونها نذكر:

- **الزواج:** على عادة المجتمعات الإسلامية فإن النساء يتزوجن في سن مبكرة، في معظم الأحيان قبل البلوغ، من يريد الزواج من إحدى الفتيات إرسال ولديه أو صديقيه لطلب الفتاة من ولديها وعندما يكون هناك وفاق بين الطرفين يعين الزوج شاهدين حيث يذهبان إلى منزل العروس لطلب معرفة وكيله الشرعي وكذلك الزوج يعين وكيله الشرعي

[1] قومي محمد، دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرن 09- 10 هـ، رسالة ماجستير، جامعة وهران 2014/2013، ص ص 83 84.

[2] نازلة اليهود بتوات: حدد دخول المغيلي إلى منطقة التوات سنة 870ه/ 1465م، لاحظ نفوذ اليهود وسيطرتهم على التجار وعدم إلتزامهم بأحكام أهل الذمة، وخداعهم ومكرهم، مقابل عجز رؤساء القباءل أمامهم الوضع الذي لم يعجب المغيلي فدعى إلى إصلاحه وأمر بالعودة إلى الشريعة الإسلامية وطالب بهدم بيع اليهود فعرضه في ذلك الشيخ العصنوني، وعندما عجز الطرفان الموالين للمغيلي والعصنوني في التوصل إلى حل على المستوى المحلي، أرسل العصنوني إلى علماء تلمسان وفاس يستفيتهم عندها كانت الأغلبية مع المغيلي بموجب ذلك حاربهم وأجلاهم عن تمنطيط. ينظر: القاسم سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول، ط 1، دار الغرب الإسلامي، د م، 1998، ص ص 53 54.

ويذهب بعدها إلى الفقيه الذي يكتب عقد الزواج ويتم بيها إعلان عقد قران الزوج بزوجته.[1]

ويكون حفل الزواج بحضور جمع من الناس ويطرح المهر المحدد بين الطرفين، وعموما يكون مقداره ما بين خمسين إلى خمسمائة فرنك بالنسبة للبيض، أما السود فهو حوالي خمسة عشرة فرنك، وبعد هذه الإجراءات يتم حفل الزواج وتزف العروس إلى بيت زوجها بعد القيام بالعديد من التجهيزات.[2]

- **الولادة:** عند إزدياد أحد الأطفال يقبل السكان بمباركة الوالدين (مبروك الله يعافيه) سبعة أيام بعد الولادة تقام وليمة (السبوع) يقوم الناس الكبار بإقتراح إسم المولود الجديد، سنتين ويفطم من الرضاعة يكون طعامه عبارة عن طهين التمر بالدهان إلى غاية السنة التي يستطيع فيها الطفل الأكل المعتاد.[3]

يختن (يطهر) الاطفال بين خمس وعشر سنوات، يقوم بالعملية أحد الأشخاص يسمى المعلم، بواسطة سكين خاص وخلال هذا الختان يقام حفل ويجلس المدعوون بالبيت يرددون عبارة "مبروك الختام".[4]

- **الضيافة:** تميز إقليم توات بكرم الضيافة وقد إختص بطريقة إكرام الضيف بتخصيص غرفة في كل البيوت بإقليم توات تسمى (دار الضيافة) وكانوا يقدمون إلى ضيوفهم المأكولات ويشترونها بأغلى الأثمان منها: التمر، العسل، الزبيب.[5]
- **الوفاة:** مباشرة بعد وفاة أحد الأشخاص يدفن في نفس اليوم الذي توفي فيه أو في الصباح الباكر إذا كانت الوفاة خلال الليل، تغسل الجثة وتلف في الكفن ويحمل إلى

---

[1] محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص 368.

[2] محمد الصالح حوتية، المرجع نفسه، ص 370.

[3] أحمد بوسعيد، الحياة الإجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازن الجنتوري في القرن 12ه/18م، رسالة ماجستير، جامعة أدرار، 2012/2011ـــ، ص 93.

[4] محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص 371.

[5] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 41.

المقبرة على النعش المصنوع من لب النخيل ويحمل ببطئ، يطرح النعش أمام المقبرة بإتجاه القبلة والكل يجلس على الأرض وتقام صلاة الجنازة بحضور الإمام. ويكون عادة القبر حفر من قبل أشخاص آخرين، ويكون هذا الأخير ضيقا وعميقا وتنشر حفنة من الحنة في وسط القبر قبل وضع الميت. وبعد دفنه توضع حجرتين كشاهدي قبر الأولى على موضع الرأس والأخرى على موضع الرجلين حتى يسهل التعرف على الميت من قبل أهله وعند العودة من المقبرة تقام الجنازة ويقومون بتحضير الطعام واللحم للأشخاص الموجودين في المنزل.[1]

- **المرأة ومكانتها في الأسرة والمجتمع التواتي:** المرأة التواتية لم تكن بدعا من النساء فقد حازت نصيبا وافرا من الحقوق والحريات كحق الملكية وحق العمل والتصرف في الأموال، وفرضت نفسها وأثبتت جدارتها وقد كانت تمارس عدة وظائف منها: النسيج، صناعة الأواني الفخارية، فقد كانت المرأة عماد الأسرة التواتية وأساساها وعلاقتها بالرجل تبدأ بعد الزواج، ومن المشاكل الأسرية التي كانت تعاني منها المرأة مشاكل الميراث والخلافات الزوجية.[2]

- **مظاهر التراث الشعبي بتوات من خلال الزيارات وركب الحجيج:**

– **الزيارات:** ظاهرة إجتماعية إختص بها إقليم توات وتتمثل في إحياء المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف وعاشوراء ويوم عرفة، فهذه الزيارات متعارف عليها في هذه المناطق وكان يرتبط موعد الزيارة بالتقويم القمري والشمسي ويراعا في موعدها أن يكون في موسم جني التمور أو موسم الحصاد وترتبط في العادة بإحياء ذكرى عالم أو ولي صالح في إقليم توات.[3]

[1] محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص 372.

[2] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 45.

[3] مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص 263.

- **ركب الحجيج:** تعتبر زاوية سيدي الحاج بلقاسم نقطة تجمع لحجاج تيكورارين فعند بداية موسم الحج يخرج شيخ الركب من أحفاد سيدي الحاج بلقاسم ويتوجه إلى تينر كوك شمالا فيبعث إلى القبائل التي ترغب في الحج فينضم إليه كل شخص مستعد لذلك الموسم وبعدها يدخل قصور تيكورارين قصرا وفي النهاية يتجمع الحجيج في زاوية سيدي الحاج بلقاسم. ومن العلماء الذين زاروا توات في موسم الحج الشيخ: بو بكر بن الحاج عيسى بن أبي هريرة الغلاوي 1733م، وكذلك الشيخ أبو بكر بن الطالب بن محمد بن الطالب بن عمر البرتلي 1785م.[1]

وبالتالي فقد جعل التواتيين من رحلة الحج فرصة لطلب العلم والإطلاع على أحوال البلدان الإسلامية والتعرف على العلماء من مشارق الغرب ومغاربها، والإستفادة منهم في الحياة العلمية وكانت للحجاج محطات وزوايا معلومة يمرون عليها في وقت معلوم من السنة أثناء ذهابهم وإيابهم مثل عين صالح، زاوية أقبلي.[2]

- **الفنون الشعبية:** في مجال الفنون الشعبية عند تواتيين نجد لعبة البارود وسط الاهازيج الشعبية كانت ولا تزال من أحب وأشهر الفنون عندهم وكان كل واحد من الشبان التواتيين شديد الحرص على إمتلاك بندقية والمشاركة بها في هذه اللعبة التي تقام عادة في المناسبات الدينية والحج والمولد النبوي، وفي المناسبات الخاصة كالختان والزواج ويجتمع رجال البلدة

وسط ساحة القصر في لباس أبيض جميل ومزركش ومعهم بنادقهم وأكياس البارود وعندما يكتمل العدد يشكلون دائرة في وسطها الفرقة الموسيقية وعلى صوت الاهازيج التي يتغنى بها الجميع بمصباحية ايقاء المالوف يصدر عن الطبل والمزمار يدور المتحلقون مضيقين قطر الحلقة تدريجيا وفي أيديهم بنادقهم ثم تأتي الاشارة من الموجهين

[1] احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 97.

[2] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص39

فتطلق الأعيرة النارية دفعة واحدة وبعدها تتسع الدائرة بالمتحلقين مرة أخرى وهكذا دواليك.[1]

3. الحواضر والقصور:

إن طبيعة المنطقة القاحلة والجرداء، أجبرت الإنسان التواتي على حفر الفقاقير وممارسة الزراعة لتأمين قوته، وكان لزاما عليه البقاء بجانبها لرعايتها والصهر عليها وبذلك اتخذ المباني الطوبية مسكنا له ومن هنا أخذ طريقه نحو التمدن لتعرف المنطقة عدد كبير من الحواضر والقصور أسهمت في تطور الإقليم وازدهاره. ومن بين هذه الحواضر نجد:

- **تيميمون:** وردت في الكثير من المصادر تحت اسم تيكورارين أو قورارة ثم أطلق اسم على كل المنطقة الشمالية للإقليم، تعود عمارتها الى أزمنة غابرة لم تحدد المصادر تاريخها بالضبط الى أن اسم تيميمون يعود الى الأخوين كانا يسكنان نواحي واد الساورة قدموا الى توات كان أحدهما يسمى ميمون وعلى هذا الأساس أصبحت المنطقة تعرف باسمه نظرا للمجهودات التي قام بها رفقة الشيخ موسى ابن مسعود سنة 920ه.[2]

برزت المدينة كحاضرة علمية للمنطقة الشمالية التي ظهر بها كثير من العلماء منهم: الشيخ عمر بن الصالح الأكروتي (998ه/1589م) والشيخ محمد بن عبد الله إبن عبد الكريم الوطاسي بعد 1017ه/1608م، أما خلال القرن الثاني عشر هجري فقد برز بتكورارين العالم الجليل محمد بن أبي الكزمري الذي حل بها وبقي هناك يدرس ويستقبل الطلبة.[3]

- **تمنطيط:** بالطاء او تمنتيت بالتاء، أو بإشراكهما معا إسم بربري مركب من كلمتين "إتما" تعني النهاية و "تط" تعني العين، أهم مدن توات وأكثرها شهرة على الإطلاق

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة 40

[2] محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص 273.

[3] مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص 53.

العاصمة الخالدة للإقليم تقع في منطقة توات الوسطى وفي هذا الصدد وصفها إبن خلدون بقوله: "...ويسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين، آخذة من المشرق إلى المغرب."[1]

عرفت المدينة إزدهارا وتطورا في مختلف المجالات وتوافد عليها العلماء من كل مكان نذكر منهم: الشيخ أبو يحي محمد المنيالي قدم عام 815ه/1412م، والشيخ يحي بن بدر التدلسي عام 845ه/1471م.[2]

- **تنيلان:** أحد قصور تيمي تقع في الشمال الشرقي منها، تذكر الروايات أن تاريخ تأسيسها يعود إلى الشيخ سيدي احمد بن يوسف[3]، وعمر هذه الزاوية أحفاده من بعده وأصبحت مركز إشعاع ثقافي وعلمي تستقطب الطلبة من كل حدب وصوب، وبفضله عادت الكلمة "التنيلاني" مرادفا لأسماء كثيرة من العلماء في المنطقة ومن أبرز الذين درسوا بها: الشيخ أبو الأنوار (ت 1168ه/1755م) والشيخ عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرقادي (ت 1157ه/1766م).[4]
- **ملوكة:** هي إحدى قصور تيمي، تقول الروايات وبعض التقاييد الخطية أن مؤسسيها هم المرابطين الذين جاؤوا من المغرب، والذين استقروا أول الأمر بقصر أدغا، من هؤولاء المرابطين برز خمسة إخوة وهم: (الحاج أمحمد، الحاج بلقاسم، الحاج علي، الحاج عبد

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 76 77.

[2] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 27.

[3] الشيخ احمد بن يوسف: ولد بولاد ونقال سنة 1002ه/ 1593م وتوفي 1078ه/1667م، درس على يد الشيخ عبد الكريم بن محمد بن أبي محمد، عرف بعلمه وزهده وصبره كان له صيت في الشعر والتأليف. ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والأثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهاد، ج1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص ص 32-33.

[4] محمد باي بالعالم، المرجع نفسه، ص35.

الرحمان، عبد الله الملقب بنجم). اشتروا ملوكة التي كانت ملك لإمرأة يقال لها (حدية)، بثمن عشرين فرفور.[1]

وكان تاريخ تأسيسها سنة 1010ه/ 1601م، تشتهر ملوكة بقصرها وقصبتها العتيقة وتعد نموذجا عمرانيا راقيا، لازال هامدا إلى اليوم وبرزت ملوكة كمركز إشعاع علمي وثقافي بداية من القرن الثاني عشر الهجري، مع بروز عدد من العلماء، وتوافد الطلبة عليها لدراسة منهم: الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي الذي تولى القضاء في توات (ت 1210ه / 1795م)، اشتهرت ملوكة في عهده، وأصبحت مكانة لحل النزاعات ودارا للعلم وللإفتاء في توات.[2]

[1] مبارك بن الصافي جعفري ، المرجع السابق، ص63.

[2] مبارك بن الصافي الجعفري، المرجع السابق، ص ص 64 65.

المبحث الثاني: الوضع السياسي في توات:

بدأ التوافد الحقيقي على الإقليم بعد سقوط دولة الأدارسة بالمغرب في القرن الرابع الهجري، وفرار الكثير من السكان بعدا أنهكتهم الحروب جنوبا لجهة الشرق، إلى أن وصلو إلى إقليم توات فستأنسوا المكان وأعجب به وبنوا قصور، وحفروا الفقاقير ومارسوا الزراعة.[1]

ومن القبائل الوافدة إلى الإقليم نجد: أولاد عبد الجليل، اولاد عياش، البرامكة. وغيرها من القبائل. وبعد استقرارهم في الإقليم، تنافسوا وتقاتلوا على الزعامة والرئاسة، واشتعلت بينهم حروب بينهم حروبا ونزاعات واستعان بعضهم على بعض وانقسموا إلى طائفتين متصارعتين هما يا حمد سفيان.[2]

– ويقول صاحب درة الأقلام، محمد عبد الكريم: (فصارت عداوة شديدة بين يا حمد وسفيان مختصة بالبلاد التواتية، والعجب كل العجب أن تجد بلد مختلط النخيل والمرافق، بحيث يسمع كل واحد نداء مؤذن الآخر ويتعصب واحد بفتنة يا حمد، والآخر بفتنة سفيان ...).[3]

أما المقدم كولومب Colonel De Colombe: الذي استغل مرحلة تواجده في المركز المتقدم Geryvirlle البيض وقام بتسجيل كل ما سمعه واستقاه حول المناطق الجنوبية الصحراوية من التجار وكذلك الطلبة أو معلمي القرآن ورحالة وغيرهم وجمعها في كتاب "الملاحظات حول الوحات الصحراوية والطرق المؤدية لها" سنة 1860م من خلال ما جمعه يرجح أن مصطلح حي ياحمد وسفيان تم استعارتهما من الفتنة الكبرى بين سيدنا

[1] مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص74.

[2] خنفار حبيب، المقاومة الشعبية للتوسع الإستعماري الفرنسي في الجنوب الشرقي في الجزائر من 1850 –1914م، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بالعباس 2019. 2020، ص118.

[3] مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص75.

علي ومعاوية رضي الله عنهما، ولكن جذور الخلاف والصراع تعود إلى حوال 35 سنة أي 1825م في "تيمي" أو "أدرار" حالي.[1]

وكانت نواة الخلاف كانت بين الشيخ البركة قائد قصر بودة وهو صهر الحاج حسين قائد قصر تيمي (زوج إبنته رقية) وسيدي المهدي قائد قصر سالي.

وبسبب النزاع الذي وقع بينهم حدث انقسام فالذين أيدوا الشيخ "البركة" كانوا يمثلون صف سفيان والذين أيدوا "الحاج حسين" مثلوا صف ياحمد.[2]

واختلف المؤرخون الأجانب والمحليين في جذور هذا الانقسام فقط أشار بعض الباحثين الفرنسيين إلى أن أصل التسمية قد تم استعارتها من التاريخ الإسلامي في الفتنة التي وقعت بين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، ومعاوية ابن أبي سفيان حول مقتل عثمان ابن عفان رضي الله عنهم جميعا. واستمرت الحروب بينهم لفترة طويلة مما إضطر كل طرف إلى البحث عن حليفه من القبائل الواقعة في الشمال فتحالف ياحمد بالبرابر وسفيان بالشعابنة وكانت أخطر هذه المعارك حصار أدرار وقضية قائد ياحمد التي كادت أن تسقط في يد العصبية المعادية من سفيان، وانهزم هؤلاء كذلك في معركة زاوية كونتا أما ياحمد وهي أهم قصور في منطقة سفيان.[3]

واستمرت هذه الحرب إلى أن تمكن صف ياحمد من إحتلال قصر "بودة" والمنصور القى القبض على شيخ البركة وتم اعدامه، ولكن الصراع استمر بعد موت القائد حيث ظهر أخوه محمد الذي بحث عن حلفاء في الشمال واستمر هذه الحرب التي كلفت الكثير من الأرواح.[4]

---

[1] خنفار حبيب، المرجع السابق، ص119.

[2] المرجع نفسه، ص120.

[3]- حسن مرموري، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، ط1، منشورات مجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، 2010م، ص95.

[4] خنفار حبيب، المرجع السابق، ص121.

– ولكن ما ركزت عليه الدراسات الأنتوغرافية الفرنسية هو قضية الخلاف والصراع وكيف يتم استغلاله في عملية التوسع نحو الجنوب، والجانب الهام الذي أولته اهتماما كبيرا هو اضطرار هذه الأطراف على البحث عن الحلفاء لها بهدف السيطرة على الطرف الآخر.[1]

[1] مبارك بن الصافي، المرجع السابق، ص76.

المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية:

كان لزاما على الإنسان التواتي بسبب الطبيعة القاسية والبعد الإعتماد على نفسه لكسب قوته وتأمين حياته، لذلك عمل على ممارسة أنشطة مختلفة تتناسب مع طبيعة المنطقة منها:

- **الزراعة:**

تعتبر الزراعة النشاط الرئيسي الذي يمارسه السكان، وإحدى عوال الإستقرار في الإقليم، ولعب واد مسعود الذي يشكل امتداد لواد الساورة والأودية الأخرى، الدور الكبير في ذلك بحيث شكلت البيئة المناسبة للزراعة واقامة الوحات، وتغذية الفقاقير، والأبار بالمياه.[1]

كانت تمارس في البساتين أو الجنة كما تسمى عند السكان المحليين. وهي مساحات زراعية صغيرة تشكل مجتمعة واحة، تكون غالبا في الجهة الغربية من القصر، تعود ملكيتها لطبقتي الأشراف والأحرار رغم أنهم كانوا يفضلون التجارة على الزراعة، ولهذا كانت الأراضي تشتغل من قبل العبيد أو الخمسين يتم سقيها بالمياه الفقاقير وهناك إختلاف بين المؤرخين حول تاريخ وصول الفقارة إلى المنطقة، حيث يرى الشيخ أحمد بن يوسف التنيلاني (11ه /17م) أن نشأتها كانت على يد الإنسان البربري.[2]

في رحلة لبحث عن المياه في الصحرا بعد الجذب الذي أصاب المنطقة بعد أن تتبع سيول المنحدرة من الأماكن المرتفعة نحو المنخفضة فصنع قناة ثم بئرا ثم ربط بعد طول المسافة بئرا بآخر إلى أن وضع الفقارة ويرى أن زناته اول من ابتدعوها ولم يسبقهم إليها أحد وكان لها أسماء مكونتها وكل ما يرتبط بيها مثل: أنفاذ[3]، الماجن[4]، أمزر[5].

---

[1] مبارك ابن الصافي جعفري، المرجع نفسه، ص88.

[2] محمد باي بلعام، المرجع السابق، ص70.

[3] انفاذ: هو نفق يصل بين بئر وآخر. ينظر: مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص90.

[4] الماجن: هو بئر يتسع بسبب نحت المياه للتربة ويصبح على شكل حوض يجتمع فيه الماء داخل مجرى الفقارة. ينظر: المرجع نفسه، ص90.

[5] أمزر: الكان الذي يقفز منه الماء من الأعلى إلى الأسفل داخل مجرى الفقارة، وهو يتحكم في سرعة المياه وتدفقها بداخلها وكل ما وجد منه الكثير في الفقرة فهي جيدة. ينظر: المرجع نفسه، ص90.

– يتم توزيع مياهها عند وصولها للبساتين، على حسب ملكية الانسان فيها، وتحصل الملكية في الفقارة، بالعمل عن طريق ما يسمى (العطية)، وهي أن يأخذ الشخص أو مجموعة من الأشخاص على عاتقيهم العمل في الفقارة وهز وحفر الأبار، ويقسم الماء الناتج بعد كل عملية على نصفين النصف للعاملين أصحاب العطية، والنصف الآخر للطريق وعلى جميع الملاك والكل حسب ملكيته. وتسجل جميع مياه الفقارة مع مالكيها في وثيقة تدعى "الزمام".[1]

يعتمد في توزيع مياه الفقاقير على نظام العجيب في غاية الدقة والإتقان، أو تستخدم لوحة مصنوعة من النحاس بها ثقوب للقياس، تدعى (الشفقة) ووحدة الكيل (الحبة) تختلف في مقاسها وتسميتها من مكان إلى أخر داخل المنطقة فمثلا تدعى (خرق) بمعنى الثقب (أولف) ويقدر تدفق الماء في متوسط الحبة ثلاث لترات ونصف تقريبا في الدقيقة.[2]

– تمتاز أراضي المنطقة بقلة خصوبتها وفقرها، وقد أشار إلى ذلك حسن الوزان الرحال الشهير الذي زار المنطقة عام 917ه /1511م، وقال في حديثه عن تيكورارين من أرض توات، أن بها أراضي صالحة للزراعة لكن يلزم سقيها بالماء البارد، وتسميديها بالسماد لأنها جافة وهزيلة.[3]

– وعند ذكر الزراعة في منطقة توات لابد من ذكر النخيل، فهي العمود الفقري للحياة وإحدى الركائز الأساسية للحضارة التواتية ومؤنسة الإنسان في تلك الصحراء القاحلة، تعد من أكثر الكائنات الحية مقاومة لقسوة الطبيعة .

[1] محمد باي بالعالم، المرجع السابق، ص71.

[2] المرجع نفسه، ص ص 70 72.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص133.

– تعطي النخيل أنواع مختلفة من التمر، ولكل منطقة من المناطق تمر تشتهر به وهناك أنواع مشتركة ومعظم أسمائه بربرية مثل تيلمسو تقازة، أعرطان، يختلف كل نوع عن الآخر في وقت نضجه وشكله، ولونه، وطعمه، بل وحتى نوع نخلته.[1]

– ولكثرة تعلق الإنسان التواتي بالنخلة تجده يعرف أدق التفاصيل عنها، وتربطه بها علاقة حميمة، كما يعتمد عليها كليا في حياتها اليومية، فالتمر غذاءه الأساسي، والحطب للتدفئة والطهي والجذوع لتسقيف البيوت والألياف لصناعة الحبال والسعف والقفاف.[2]

– تشتهر المنطقة بأنواع جيدة من التمر، رم أن الرحالة ابن بطوطة وصف تمر (بودا)، إحدى مناطق توات بالكثير ولكنه ليس طيب.[3]

– بينما رأى العياشي في القرن 11ه/ 17م عند ما زار تسابيت أن التمر بها رخيص وتوجد منه أنواع كثيرة.[4]

– وإلى جانب النخيل يزرع الإنسان التواتي الحبوب، كالقمح والشعير، بالإضافة إلى الحناء والحلفاء والخضر والكمون إلى جانب أشجار العنب والتين والرمان، وفيما يخص الماشية يعتبر الجمل ركيزته الأساسية بحكم دوره الغذائي وكونه وسيلة نقل تستخدم في المسافات البعيدة بفضل قدرته على التحمل، إلى جانب الغنم والمعز أما الخيول كانت توجد عند العائلات ميسورة الحال.[5]

– كان المحصول الزراعي في الإقليم، في كثير من الأحيان عرفته للكوارث والآفات الطبيعة كالجراء مثل وقع سنة 1687م وبفعل هذه الكوارث ضربت الإقليم مجاعة كبيرة، بيع خلالها الرطل الواحد من التمر بثقال ونصف من الذهب.[6]

---

[1] مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص93

[2] المرجع نفسه، ص94.

[3] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص407.

[4] أبو سالم العياسي، المصدر السابق، ص11.

[5] مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص94.

[6] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص408.

– ساهم القطاع الزراعي في الحياة العلمية داخل الإقليم من خلال البساتين والمياه الفقاقير والتي كانت وقف للزوايا والمدارس القرآنية وعابيري السبيل، ولا يكاد يوجد قصر ألا وتوجد فيه دارا وبستنا ومياها وصدقة جارية كما كانت ضمن الهدايا التي يقدمها الآباء للأبناء خاصة عند حفظ القرآن الكريم تحفيزا على طلب العلم.[1]

- **الصناعة:**

إذا كانت الزراعة قد ارتبطت في الإقليم بالنخلة فإن الأمر نفسه يمكن أن يقال عن الصناعة، حيث شكلت هذه الشجرة الصحراوية المادة الأولية للكثير من الصناعات والحرف التقليدية حتى لا تكاد تخلو حرفة أو صناعة في توات إلى وتعتمد عليها بطريقة أو أخرى. ومن بين المصنوعات الحرفية نجد: الأبواب النوافذ، الأقفال المعروفة (بأفكر).القيود، الحبال والكثير من الأدوات المنزلية: كالمراوح اليدوية الحصائر، الصناديق الخشبية، المغازل، الأطباق، المكانس وغيرها.[2]

– إلى جانب النخيل استخدمت جلود الحيوانات كالإبل والماشية في الكثير ن الصناعات كالقرب التي كانت تستخدم لحفظ الماء واللبن، وتغليف الكتب كما ضمت كثير من المنازل مغازل النسيج والصوف واشتهرت المنطقة بصناعة الأبسط النسيجية المعروفة (بالودكالي) والتي برز المهارة والدقة في النسيج واختيار الألوان.[3]

– واستخدمت الحجارة كمادة أولية في بعض الصناعات، كصناعة الرحى لطحن الحبوب وأخرى شبيهة لها لتكسير النوى وتحضير علف الماشية تعرف عن السكان (المعرض).

---

[1] محمد باي بالعالم، المرجع السابق، ج 1، ص76.

[2] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص ص 42 43.

[3] محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص76.

و إلى جانب الحرف اليدوية، اشتهرت بعض القصور بالصناعات والحرف اعتبرت فحينها متطورة، كصناعة الحلي، الصباغة، الفخار، الأواني النحاسية والحديدية، الفؤوس، المنجل.[1]

– كان لهاته الحرف محلات وأماكن معروفة، وعائلات تشتهر بها ومن بين القصور تمنطيط، والتي يذكر ابن بابا حيدة صاحب كتاب "البسيط في أخبار تمنطيط" أنه كان بها ثلاثمائة وستون صانعا وعدد كبير من الحدادين والنجارين، بالإضافة لبوذة وتيميمون.[2]

- **التجارة:**

– إلى جانب الزراعة مارس الإنسان التواتي التجارة ولعبت المنطقة دورا ريادي في هذا المجال، بدأ منذ عهود قديمة تؤكد المصادر والشواهد الأثرية والأبحاث، التي تثبت با يقبل مجال للشك أن الصحراء الكبرى كانت دائما محلى إختراق تجاري منذ العهود القديمة السابقة. وقد لعبت القبائل البربرية والواحات الصحراوية بما فيها توات دور الوسيط التجاري النشط بين بلاد السودان والمحطات التجارية في الشمال، ومنها كانت تسير القوافل محملة بالثياب والمنسوجات والملح وبضائع أخرى من جنوب أوروبا وغرب أسيا إلى بلاد السودان، وكانت تعود بالذهب والعبيد والعاج ومنتوجات أخرى.[3]

– ولم يكن باستطاعة التاجر عرض سلعته إلى في الأسواق العامة بالمدن والقصور وصارت هذه الأسواق تلعب دورا هاما في حياة السكان فهي في الداخل مركز تجاري لعقد الصفقات والمبدالات التجارية إلى جانب تلبية احتياجات السكان من مواد غذائية واستهلاكية أما بالنسبة للخارج فهي المكان المفضل الذي يقصده أصحاب القوافل التجارية

[1] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص ص 42 43.

[2] محمد صالح حوتية، المرجع السابق، ج 1 ، ص136.

[3] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص63.

القادمة من الخراج بغرض إستبدال سلعتها بالسلع التي بحوزة تجار البلدة، وبالتالي كان هناك نشاط تجاري داخلي وخارجي:[1]

أ- التجارة الداخلية: لعبت الأسواق العامة دورا هاما في الحياة الإقتصادية عند التواتيين فكانت تعد القلب النابض للنشاط التجاري للبلدة لذلك لم تخلو مدينة أو قصر تواتي منه، ونظرا لما للسوق من أهمية لتنشيط حركة البيع والشراء فقد حرص كل صاحب سلعة على عرضها داخل السوق إما لبيعها أو استبدالها بسلعة أخرى ويصف لنا العياشي في رحلته سوق مقاطعة "تسابيت" التي بقي بها ستة أيام عندما مر بها عام 1211ه /1795م في طريقه لتأدية فريضة الحج فيقول: (واشترينا ما يحتاج إليه من التمر، وبها من التمر أنواع كثيرة، ووجدنا التمر فيها رخيص).[2]

- وفي نفس المدينة التي زارها الرحالة الألماني "جيرهارد رولف" سنة 1864 وأشار سوقها مازال يتمتع بنشاط اقتصادي لا بأس به ومن أهم الأسواق التي كانت لها أهمية بتنشيط الحركة الاقتصادية نجد سوق مدينة تيميمون حيث كان من أهم الأسواق مقاطعة قورارة ويحتل شهرة كبيرة خارج توات، ومن السلع التي كانت معروضة فيه: ريش النعام والعاج واللحوم المجففة والتمور على اختلاف أنواعها.[3]

بالإضافة إلى سوق مدينة تمنطيط وأدرار الذان كانا من أنشط أسواق المنطقة في هذه الفترة وقد احتوت على مجموعة من الحوانيت المختصة في بيع الملابس وتطريزيها وحياكتها.[4]

---

[1] مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص100.

[2] أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص20.

[3] فرج محمود فرج ، المرجع السابق، ص66.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص95.

ب- التجارة الخارجية:

كان لابد للتواتين من ضمان استمرار عملية الإستيراد والتصدير مع العالم الخارجي، ذلك لأنهم كانوا في حاجة إلى سلع خارجية. نظرا لما اشتهرت به أسواق توات من رخص وتنوع السلع فقد أصبحت تجذب أيضا قوافل الحجاج العابرة للصحراء، في طريقيها إلى الأراضي الحجازية وكانت التجارة الخارجية لإقليم التواتي لا تكاد تخرج من المحاور الآتية:

الأولى: التبادل التجاري مع أسواق السودان الغربي

والثاني: مع أسواق تافيلات وسجل ماسة ومراكش بالمغرب الأقصى.

والثالث: مع أسواق غدامس وغات وطرابلس وجنوب تونس.

والرابع: مع قبائل الطوارق والبربر الضاربة جنوب توات.

والخامس: مع أسواق الشمال الجزائري.[1]

وكان التجار التواتيون هم الذين يتوجهون على رأس قوافلهم التجارية المحملة بالسلعة إلى الأسواق السودان الغربي وكانت سلعتهم تشتمل على: القهوة والسكر والملابس المطرزة والأسلحة النارية والتمور والحناء، وكان يبادلونها بالعبيد والذهب الخام والعاج.[2]

[1] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص70.

[2] مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص ص 106 107.

المبحث الرابع: الحياة الثقافية:

لقد شهد إقليم علمية كبيرة وبخاصة خلال القرن الثاني عشر الهدري، الثامن عشر الميلادي، وذلك بفعل مجموعة من العوامل التي كان لها دورا بارزا في تطور النهضة العلمية منها: توافد العلماء على منطقة توات نظرا لما تنعم به من أمن ورخاء بعد ما ضاقت به سبل العيش بالشمال بفعل الاضطرابات وكان لهؤلاء صيت بالغ في العلوم والمعرفة ومنهم: مولاي سليمان بن علي الإدراسي 670ه/ 1271م وكذلك الشيخ عيسى بن محمد البطوي جاء إلى توات سنة 714ه /1314م، بالإضافة إلى عامل آخر في متمثل في رحلات العلماء التواتيين في طلب العلم مثل: رحلة الشيخ: عمر بن القادر المهداوي التنلاني إلى فاس من 1117ه إلى 1129م قضاها منشغلا بالدراسة والتدريس.[1]

فكل هذه العوامل أدت إلى تطور النشاط الثقافي والحياة العلمية فانتشر التعليم بضواحي المنطقة وازدادا عدد العلماء والمدرسون وهذا ما نحن بصدد ذكره في هذا المبحث:

أ- التعليم:

انتشر التعليم في توات خلال القرن الثاني عشر، وكان أحد أسس النهضة العلمية، لعبت كل من المدارس القرآنية والزوايا دور كبير ف تخريج الطلبة والمدرسين، ويمكن تقسيم مراحل التعليم في إقليم توات خلال تلك الفترة إلى ثلاث مراحل أساسية.[2]

المرحلة الأولى: تبدأ المرحلة الأولى ن التعليم عند إمام القصر، والذي كان إلى جانب الصلاة يقوم بالتدريس، وفي الكتاتيب والمدارس القرآنية التي كانت تنتشر في كامل الإقليم.

[1] أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص349.

[2] محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص ص 201 204.

وتكون البداية عند بلوغ الطفل سن الرابعة في أغلب الأحيان، وعند دخوله يحضر معه اللوحة [1] مع الدواة التي يوضع بداخلها الحبر الأسود [2] مع قلم مصنوع من القصب بعد ما يتم بريه وأول ما يتعلمه الحروف ثم ينتقل إلى تعلم القرآن وكل يوم يكتب الشيخ بعض الآيات يقوم هذا الأخير بحفظها.[3]

المرحلة الثانية: وتبدأ عند انتقال الطلبة إلى المدراس الدينية الكبرى، أو زواية المعروفة بشيوخها والمتواجدة ببعض المراكز العلمية مثل تنيلان، تنمطيط، ملوكة، زاوية كنتة وهذا الإكمال دراستهم، ويكون التعليم في هاته المرحلة أكثر تخصصا وإنضباطا.[4]

المرحلة الثالثة: وهي أكثر تخصصا كان لا يحصل عليها إلا القليل من الطلبة والمشاييخ الميسوري الحال، أو الذين ينتمون للعائلات العلمية المشهورة مثل: كالبكرية ووالتنيلانية واللذين سمحت لهم الظروف بالإنتقال إلى الحواضر العملية الكبرى في العالم الإسلامي مثل فاس ومكناس وتلمسان وغيرها لمواصلة دراستهم والتطلع في مختلف العلوم، ومعرفة الغريب والنادر منها ومن هؤلاء الذين انتقلوا للدراسة في هاته الحواضر منهم: الشيخ البكري بن عبد الكريم وكذلك الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني الذي تنقل إلى عدة مناطق منها بلاد التكرور.[5]

كان لهؤلاء العلماء بعد رجوعهم دور كبير في نقل الكثير من العلوم لقطر التواتي وتفتحه على هاته الحواضر الكبرى، بينما فضل البعض منهم البقاء هناك ومزاولة التدريس أو مهن أخرى.[6]

---

[1] اللوحة: هي عبارة عن لوحة خشبية غالبا ما تكون مستطيلة يتغير حجمها مع تغير المستوى التعليمي للطفل. ينظر: مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص144.

[2] الحبر الأسود: يصنع الحبر من الدخان المتراكم على القدور ومن الصوف النابت بين فخذي الشاة بعد حرقه، زائد الصمغ وقليل من السكر. ينظر: المرجع نفسه، ص144.

[3] محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص78.

[4] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص47.

[5] مبارك ابن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص147.

[6] أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 118.

ب)- المراكز العلمية والزوايا:

ارتبط تاريخ نشأة الزوايا في الإقليم بتاريخ عمارته ونشأته، كما كان لإطعام الضيوف وعابري السبيل في الصحراء القاحلة، خاصة ركب الحجيج والقوافل التجارية وف الوقت نفسه لعبت دورا كبيرا في الحركة العلمية في توات وساهمت في تنشيطيها خلال القرن الثاني عشر وشكلت هذه الأخير مركز إشعاع علمي وحضاري كان يقصدها الطلبة من كل مكان في تلقي العلم والمعرفة ومن أهما نذكر:

- **الزاوية الكنتية:**

أسساها الشيخ أحمد بن محمد الرقاد الكنتي سنة 999ه/ 1590م لعبت دورا كبيرا في الحركة العلمية في إقليم توات كانت تعج بالطلبة من مختلف الأقطار وتواجدت بها خزانة كبيرة للكتب ومن شيوخها الشيخ سيدي علي الرقادي والشيخ عمر ابن محمد المصطفى.[1]

- **زاوية سيدي عمر ابن صالح:**

مؤسسها هو الشيخ سيدي عمر بن محمد ابن صالح كان من أعلام القرن العاشر الهجري، توفي سنة 1008ه/ 1599م، برزت كمركز إشعاع ثقافي وعلمي كبير بمنطقة أوقروت، كانت تستقبل الضيوف الطلبة، فوفدوا عليها من مختلف الجهات ونزل بها العياشي سنة 1661م أثناء رحلتها كما تخرج منها الكثير من العلماء منهم الشيخ البكري.[2]

- **زاوية أقبلي بتديكلت:**

تأسست سنة 1130ه/1718م على يد الشيخ محمد ابن عبد الرحمان أبي النعامة، كما لها دور علمي بارز وذاع سيتها خلال القرن الثاني عشر وبالإضافة لدورها في تدريس الطلبة كانت مكان تجتمع فيه قوافل الحجيج القادمة من توات وبلاد السودان، كما ضمت الزاوية خزانة كبيرة من الكتب.[3]

---

[1] مبارك ابن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص165.

[2] المرجع نفسه، ص166.

[3] المرجع نفسه، ص 167 168.

ج)- العلماء والمدرسون:

أنجب الإقليم خلال القرن الثاني عشر الهجري، الكثير من العلماء والشيوخ في مختلف مناطقه كان لهم الفضل في حمل مشعل والنهوض به، ومن أهم العلماء الذين عاشو في هاته الفترة وقدمو الكثير من التراجم والعلوم في زواية المنطقة نذكر:

- **الشيخ عبد الرحمان المعروف بمعاذ التواتي:** (ت 1104ه/ 1693م)

اشتهر بالتقوى والصلاح عند سكان فاس، كان لا يأكل إلا من عمل يديه ولا يشرب إلى من ماء فاس، توفي يوم الجمعة ليلة المولد النبوي الشريف عام 1104ه/ 1693م دفن خارج الحبشة بفاس.[1]

- **الشيخ البكري بن عبد الكريم التمنطيطي (ت 1133ه/ 1721م):**

ولد بتمنطيط تنقل في طلب العلم فزار مراكش، وفاس، زار البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، مر بمنطقة الزاب في الشرق الجزائري وأسس بها زاوية واشتغل بالقضاء.[2]

- **الشيخ محمد الصالح الميموني (ت 1137ه/ 1724م)**

يقول عنه صاحب الكتاب الدرة الفاخرة، كانت له مأثر عديدة وأنوار ساطعة، توفي يوم 08 محرم 1137ه.[3]

د)- العلوم والمؤلفات: اشتغل التواتيون بعلوم مختلفة ويغلب على مؤلفاتهم الطابع الديني وكل ما يرتبط به ويعود هذا إلى تعلق الإنسان التواتي بالدين باعتباره المحور الأساسي للعملية التعليمية ومن هذه المؤلفات نجد:

أ)- العلوم الشرعية:

- **علوم القرآن:** إنكب التواتيون على كتاب الله حفظا ودراسة وكان ما يتلقى الطالب من العلوم أثناء الدراسة ، أما الكتب التي تداولها بكثرة نجد: "الدرر اللوامع في قراءة الإمام

[1] محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص412.

[2] المرجع نفسه، ص 413.

[3] مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص 213.

النافع"، لأبي حسن ابن بريء ، كما اهتموا بالتجويد وأهم كتبه "شرح الخزرية لأبو يحي زكريا الأنصاري". ومن أهم مؤلفاته في هذا الباب نجد كتاب "ألفية الغريب" لمحمد ابن العالم الزجلاوي.[1]

– **الحديث:** كان من العلوم التي اهتم بها التواتيون وكانت تخصص له حلقات يومية لبعض الزوايا ومن أهم كتب الحديث التي تدارسوها: "شمائل الترميذي" للقاضي عياض، غير أن إهتمامهم بالتأليف بهذا الباب كان متوضعا بحيث نجد: "مفتاح النظر في علم الحديث للمغيللي" [2]

ب)– العلوم الإجتماعية:

– **اللغة والأدب:** هما من أهم العلوم التي تدارسها التواتيون وأهم الكتب التي كانوا يدرسونها في هذا المجال نجد: "الخزرجية في لعم العروض ولامية الأفعال لإبن مالك". ومن أهم المؤلفين لهذا المجال نجد الشيخ محمد بن أبي المزمري صاحب قصيدة البحور الشعرية "أرجوزة في علم الكلام".[3]

– **التاريخ والتراجم والسير:** إهتم التواتيون بدراسة التاريخ وكتابته وتضم خزائن المنطقة العديد من الكتب في هذا الفن وكان يدرس في المدارس والزوايا خاصة ما كان له ارتباط بالدين كالسيرة النبوية الشريفة وتراجم العلماء والمشايخ.

وأهم كتب التاريخ التي ألفوها في هذا المجال نجد: ""فهرست التنيلاني" للشيخ عبد الرحمان بن عمر وكذلك ألف الشيخ محمد بن عمر بن محمد البوادي كتاب "نقل الرواة عن من أبدع قصور توات".[4]

---

[1] مبارك بن صافي جعفري ، المرجع السابق، ص 218.

[2] محمد باي بلعالم المرجع السابق، ص 415.

[3] محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص ص 241 244.

[4] المرجع نفسه، ص245.

ج)- المواد العلمية:

- **الحساب:** اهتم التواتيون بعلم الحساب لصلته الوثيقة بتحديد مواقيت الصلاة في حساب الميراث بالإضافة إلى حاجتهم اليومية إليه كالأمور التجارية، ومن أهم الكتب التي كان يدرسونها كتاب: "الدرة البيضاء" للشيخ عبد الرحمان الأخضري، كما استخدموا الحروف الهجائية للدلالة على الأرقام.[1]

- **الفلك:** درس أهل توات علم الفلك، لإرتباطه بالمواقيت ومعرفة النجوم بصفتها ومعرفتها بصفتها دليلا للمسافر في الصحراء ، وأهم كتاب درسوه في هذا المجال "الديباج المرقوم في أصول علم النجوم" "وكتاب الفلك" ، لعبد الرحمان الجاديري ومن أهم اجتهادات التواتيون في هذا المجال نجد: أرجوزة في أوقات الصلاة" لمحمد بن عبد الله بن عومر.[2]

[1] مبارك بن الصافي جعفري، المرجع السابق، ص220.

[2] المرجع نفسه، ص222.

خلاصة الفصل الأول:

وفي أخر هذا الفصل يمكن القول أن تعدد مشارب وأجناس الإقليم التواتي، وهو ما يمكن اعتباره أحد الأسباب الرئيسية التي وقفت عقبة في وجه تكوين وحدة سياسية بداخله لكنها أسهمت بتنوعه وازدهاره وتفتحه على باقي الثقافات والشعوب والمناطق وامداده براوفد ثقافية مختلفة.

حيث شهد الإقليم ازدهارا وتطورا في مختلف المجالات: اقتصادية واجتماعية والثقافية والعمرانية، ذاع صيتها خاصة في مطلع القرنين الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين، إلا أن الحياة السياسية خلال هاته الفترة عرفت بتعقيداتها وكثرة عقد الحل والربط بها، وتميزت بتداخل النفوذ والمصالح، مع غياب كيان سياسي واضح المعالم يسير إقليم توات.

وبالتالي كل هذه الظروف جعلت من الإقليم محل أطماع القوات الفرنسية، وفعلا صبت أنظارها عليه في بداية القرن التاسع عشر ميلادي لإحتلاله والسيطرة على المنطقة.

الفصل الثاني: الإحتلال الفرنسي لإقليم توات الكبير ورد الفعل المحلي

المبحث الأول: الحملات والبعثات الإستكشافية التجسسية

المبحث الثاني: التوسع الفرنسي في منطقة تيديكلت.

المبحث الثالث: التوسع الفرنسي في منطقة قورارة وتوات الوسطى.

المبحث الأول: الحملات والبعثات الاستكشافية التجسسية

كانت السياسة الفرنسية على دراية كبيرة بأهمية الصحراء وأن قناعاتها كانت كبيرة في أن بقائها في الجزائر مرهون باحتلال الصحراء ولهذا ركز الاستعمار الفرنسي مؤامراته حول الصحراء الجزائرية الذي يريد من خلالها توطيد المباشر فيها. فقررت فرنسا التوسع والتغلغل الى الداخل معتمدة على استراتيجيات للسيطرة الكاملة وذلك عن طريق إرسال البعثات الاستكشافية وقد شارك فيها رحالة ومستكشفون من جنسيات مختلفة ولكننا سنقتصر بالذكر نشاط للرحالة الفرنسين بالدرجة الأولى وبعض الأجانب الذين عملوا لمصلحه فرنسا من أبرزهم:

رحلة هنري دوفيرييه (الملحق رقم 03):

رغم نجاح بعثة إسماعيل بو ضربة الى غات فان الوالي العام للجزائر لم يطمئن لنتائج هذه البعثة لكون بوضربة عربي مسلما مثل سكان هذه المناطق وهو يريد ان يعرف ردت فعل السكان عند استقبالهم للفرنسيين ولذلك رشح لهذه المهمة الشاب "**دوفيرييه**"[1] ليمهد دخول النفوذ الفرنسي للجنوب وخاصة توات[2].

ومن بين أهم أهداف هذه الرحلة والتي صرح بها صاحب الرحلة في مقدمه كتابه طوارق الشمال.

1- استكشاف المنطقة من الناحية الجغرافية، التعرف على التضاريس، السبل، الطرق ومناطق تواجد المياه في الصحراء.

---

[1]- هنري دوفيرييه:من مواليد 28 فيفري 1840 بباريس ومنذ وقت مبكر أرسله والده الى ألمانيا لدراسة التجارة تعلم اللغة الألمانية والفرنكية واخذ يسجل ملاحظات عن حياه الطيور والنبات و لكنه كان كل همه ينحصر في السفر الى إفريقيا وقداورد في مذكراته كنت "اشعر بجاذبيه لا تقاوم الى القاره الإفريقية"، ينظر: إسماعيل العربي الصحراء الكبرى وشواطئها، د.ط، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 82.

[2] إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912) ، د.ط، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص57.

2- خلق علاقات مع سكان هذه المناطق الصحراوية خاصة الطوارق كوسيط للوصول الى ربط علاقات تجارية مع إفريقيا جنوب الصحراء.

3- دراسة المنطقة من الناحية الأنثروبولوجية، الناحية الإثنية (أعراف، أصول) والعادات والتقاليد واللهجات المحلية[1].

رحلته الأولى:

تعد رحلة دوفيرييه، من أوائل الرحلات الاستكشافية التي وصلت الى منطقة بسكرة الذي انطلق من سكيكدة في 8 ماي 1859م، وذهب مباشرة نحو بسكرة وكان الهدف من هذه الرحلة هو التعرف على مرشدين من الرجال الطوارق من اجل التعرف على مناطقهم[2]، ولكن هذه الرحلة باءت بالفشل نظرا لموقف السكان الرافض له، فرجع الى سكيكدة وعاود "دوفيرييه" رحلته الى بسكرة في أول فيفري 1860م ثم اتجه بعد ذلك الى واد سوف ومنه الى الجريد في الجنوب التونسي بعدما طالب حماية ممثلي فرنسا في المناطق التي يجوبها ودخل بسكرة يوم 10 افريل 1860م[3].

رحلته الثانية:

بعد الرحلة الأولى كلف الوالي العام للجزائر الرحالة" دوفيرييه" بان يقوم برحلة الى الطوارق من اجل ربط علاقات تجارية بين فرنسا وقدم له الدعم الكافي للقيام بهذه الرحلة فغادر بسكرة خلال شهر جويلية 1860 م متجه الى مدينة الوادي ومنها الى غدامس

[1]- Henri Deverier, Les Touareg du Nord, Ed Challamel Aini, Paris 1864, p.2

[2]عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1 دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة الجزائر، 2016، ص ص 51-52.

[3] ابراهيم مياسي، المرجع السابق، ص54.

بمساعدة الشيخ عثمان[1] وفي هذه المرة تمكن هنري دوفيرييه من كسب ثقة شيوخ المنطقة وربط علاقات معهم ودخل مدينة غدامس يوم 11 أوت 1860.ثم غادر غدامس الغات مع الشيخ عثمان وزعيم الطوارق الأميثوكال إخنوخن عملا على حمايته من هجوم السكان ومن غات تجول في منطقة قزان ثم طرابلس ومنها الى الجزائر ليستعد لرحلة أخرى أكبر وأهم. ولكن بسبب مرضه الشديد وفقدانه ذاكرته لم يستطيع تحقيق ذلك. ورغم ذلك قدم معلومات هامة عن هذه المناطق[2] وقد جمع نتائج أبحاثه في كتاب سماه "طوارق الشمال"[3] وهي عبارة عن دراسة شاملة لمنطقة الطوارق كما تضمن الجغرافيا الطبيعية وطبقات الأرض وموارد المياه[4].

كما كانت من أكبر نتائج الرحلة الاستكشافية لدوفيرييه هي ربط علاقات اقتصادية مع طوارق أزجر تمثلت في معاهدة غدامس في 26 نوفمبر 1862م بين الشيخ أخنوخن وممثلي الحكومة الفرنسية باسم راندون التي بموجبها أصبحت فرنسا طرفا في التجارة الصحراوية.

1- الشيخ عثمان: مرابط قبيلة ايفوغاس المنسوبة الى الطريقة التجانية، الذي يتمتع بنفوذ كبير في صحراء ومعرفة جيدة بطرق والسبل واستقبل كذلك من شخصية من الطوارق الازدجار والذي يتمتع بسلطة و بنفوذ كبيرة وهو الشيخ "أخنوخن" وكان لهاتين الشخصيتين الفضل في تهدئة الوضع في المنطقة وضمان امن القافلة وتوفير الظروف الملائمة لتحقيق أهدافها الاقتصادية والاستكشافية التجسسية. ينظر: Ismail Bouderba, Voyage AR'AT 1er Décembre 1858, Imprimerie de ch L A Chur, Paris, 1859, R.A.C, Décembre 1859.

[2] ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 411-412.

[3] أ. هقاري محمد، دور سكان منطقة ازجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر العدد 124، جوان ،2016 ص 28.

[4] عبد القادر بوباية، دور الرحالة والمستكشفين في عملية التوسع في الصحراء الجزائرية مقال منشور في مجله العصور الجديدة العدد 6 عدد خاص بخمسينية الاستقلال، 2012، ص 24.

وملاحظة أن الفرنسيين استخدموا هذه العضوية في أعمال التجسس وخدمة مخططاتهم التوسعية في الصحراء سعيا منهم للسيطرة عليها وأيضا استعمالها كجسر لربط مستعمراتهم في شمال القارة وغربها[1].

ومن اهم بنود هذه المعاهدة:

✓اقرار الصداقة والتبادل بين السلطات الفرنسية ورؤساء مختلف فروع وقبائل الطوارق[2].

✓يمكن للطوارق ممارسة تجارتهم بكل حرية من السودان وبلادهم في جميع اسواق الجزائر، دون اي شرط[3].

✓مساعدة مرور التجار الفرنسيين او الاهاليالجزائريين عبر اراضيهم مع الالتزام بحمايتهم الى وصولهم الى السودان[4].

وفقا للتعريف المرفقة وما الى ذلك تضمنت الاتفاقية الإضافية الخاصة بقبائلازجار المواد التالية:

✓تضمن عائلة الحاج أخنوخن سلامة القوافل التي تمر من بلادهم الى دول شمال إفريقيا حسب التقاليد وتبقى الاتفاقات التجارية بين الشعابنة وسوف وعائلات الأزقريين ثابتة[5].

✓يتعهد الشيخ أخنوخن وبقيه رؤساء الأزقر بالاتصال مع قبيلة "كيل غلا" من حين عودتهم الى غات وإقامة العلاقات مع تلك القبيلة لتضمن سلامة التجار الفرنسيين والجزائريين عند عبورهم من بلاد آير.

---

[1] عبد القادر بوباية، المرجع نفسه، ص 28.

[2] عميراوي أحميدة، موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين ميلـــة، 2004، ص106.

1- M. Dubis, A.Terrier, Les Colonies Françaises, Un Siècle d'Expansion Coloniale, Ed A.Challmel, Paris, 1902, pp.751-752.

[4]– اندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة إسطنبولي رابـــح ومنصـــف عاشـــور، د.ط، د.م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص398.

[5]- M. Dubis, A.Terrier OP. cit p 323

✓يسمح للطوارق بدخول أسواق الجزائر دون أي ضريبة.

✓يسمح لي فرنسا احتلال البلاد في المستقبل لصيانة الطرق.

إن مواد المعاهدة وضعت بأسلوب دقيق لصالح فرنسا، وتطبيقاتها كانت مسار شك حيث أن الرئيس الازقري لم يحضر المعاهدة ولا يوجد دليل على توكيله وقبول الرئيس لا يعني النيابة إلا عن قبيلته الخاصة ويراغانا (Viragana) أن الطوارق قبائل متعددة ومنتشرة وقطع الطرق جزء من حياتهم الاجتماعية ولا يمنعهم عن ذلك أي رئيس كان ولذلك لم تتحقق أهداف المعاهدة لقيام الانتفاضة في الجزائر وبسبب التدابير التي اتخذها الأتراك أيضا[1].

رحلة جيرهاد روهلفس (الملحق رقم 04): (Grehandt Rohlfs) 1862-1867

ولد في ضواحي مدينة بريم وهو الابن الرابع لأسرة أنجبت سبعة أطفال. كان الطفل ضعيف البنية ثائر الطبع بحيث لم يكن يحتمل الطاعة لا في المنزل ولا في المدرسة. خرج من المدرسة لينخرط في جيش دويلة بريم الصغير ونال رتبه ملازم أول. ولما غادر الجيش حاول أن يدرس الطب لكنه لم ينجح في ذلك فاختار مدرسة الأسفار في أوروبا أولا ثم افريقية[2].

– قام "جيرهاد روهلفس" برحلات عديدة لكشف الصحراء، ولقد انضم الى فرقة اللفيف الاجنبي الفرنسي التي كانت تعمل في الجزائر، وتعلم حينها اللغة العربية، وبعدها اتجه الى المغرب الأقصى. حيث تجول في الجزء الجنوبي منه، فاتجه نحو السوس، وبعده الى وادي درعة ومنه الى تافيلات ثم فقيق، فوهران.

[1] عبد الرحمن تشايجي، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، د.ط، د.م، تر: على إعزازي ص72-73.

[2] العربي اسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، ج2، المرجع السابق، ص89.

– أما الرحلة الثانية فقد انطلق روهلفس من طنجة الى واد زيز عبر الأطلس ومن هناك الى واد الساورة[1]، فإيغلي وبني عباس ثم واحات توات[2]، وتيديكلت، عين صالح، ثم غدامس ومنها الى طرابلس.

– أما الرحلة الموالية فقد انطلق من طرابلس[3] ثم عبر عرق مرزق متجها الى التشاد ثم الى بورتو ومنها الى لاغوس.

وبهذا يعتبر"روهلفس" أول رحالة أوروبي يعبر إفريقيا الغربية من ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا الى ساحل غانا جنوبا.

وفي سنة 1873 كشف واحة صحراء ليبيا. وقاد سنة 1878 حملة أرسلتها الحكومة الألمانية بغرض الوصول الى وادي، ولكنه لم يذهب الى ابعد من واحة الكفرة[4]. وبذلك كان أول من زار هذه الواحة. بعدها لم يضف جديدا لكشوف الصحراء[5].

ينهي حديثه وهو يواصل رحلته الى توات حيث يتحدث عن كل صغيرة وكبيرة[6].

رحلة فلاتير Faltters 1880-1881

بدا عهد جديد لعملية الاستكشاف انطلقت بعثة فلاتير[7] ثم تلتها بعثات أخرى[8].

---

[1] ابراهيم مياسي، احتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص416.

[2] د. رفاف شهرزاد، الاستكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية من القرن 19م، المجلد الأول، ع خاص أفريل 2019، جامعة بشار 2019، ص195.

[3] فيرون ريمون، المرجع السابق، ص112.

[4] مياسي، توسع الاستعمار في الجنوب، المرجع السابق، ص57.

[5] علي ابراهيم عيسى، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، د.ط، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2000، ص201.

[6] بن واز مصطفى، المستكشفون الاوروبيون للصحراء الجزائرية ("جيرهاد روهلفس واسكار لانز" نموذجان)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع 11، 2014، ص343.

[7] – فلاتير(Falleters):ولد بباريس في 16 سبتمبر 1832م. دخل المدرسة العسكرية بسانت سير في 7 نوفمبر 1851م. ثم بعث كضابط عسكري بقسنطينة بتاريخ 1 جانفي 1856م، كما شغل منصب الحاكم العسكري لمنطقة الأغواط سنة 1876 حيث قام خلالها ببعض الجولات في الصحراء مدحه الوالي العام "المريشال بيليسيي" من اجل ثم عين مقدم كلونال في 3 ماي 1879. ينظر Nourcisse Fauco, livre dor de l'algerie,editeurs libraire algerie,,e et coloniale, paris, 1889, p274.

[8] ابراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب، المرجع السابق، ص57.

حاول الطوارق المحافظة على أراضيهم وأبعاد وصول كل غريب.وهو ما حدث بعد بعثة الذي كلفته المؤسسة الجغرافية سنة 1880 بدراسة الممرات الخاصة في جنوب ورقلة وفحصها محاولا من خلال ذلك إيجاد مسالك لربط السودان. وقد كان فلاتير يتقن اللغة العربية واللهجة البربرية، ملاحظ دقيق في جغرافية البلدان وتواريخها وهذا ما أهله للاختيار من طرف الوزارة الحربية الفرنسية للإشراف على مشروع استكشافي للجغرافيا وطرق الصحراء الوسطى، لربط الصحراء بالسودان عبر الجزائر بخط السكك الحديدية[1].

رحلته الأولى:

تضم هذه الرحلة عشرة أعضاء هم "فلاتير" عقيد المشاة والقائد الأعلى الأسبق للأغواط، "موسون" (Musson) نقيب أركان الحرب، "برانجر" (Beringer) مهندس الجسور والطرقات، "روش" (Roch) مهندس المناجم، "برنار" (Bernard) النقيب في سلاح المدفعية، "غييارد" (Guiard) الطبيب، "لوشاتولييه"(Le Chatelier) و"بروسلار" (Brosselard) ملازميالمشاة، كابيل (Cabillot) "رابوردان" (Rabourdin) مسيري الجسور والطرقات وقد تم تعيينها هؤلاء الأعضاء خلال شهر ديسمبر1879م[2].

غادر فلاتير باريس في يوم 7 جانفي 1880م الى الجزائر التي يصلها يوم 9 جانفي ثم الى بسكرة نقطة الانطلاق.

غادر بسكرة يوم 6 فيفري ليمر على توقرت يوم 14 ويصل ورقلة في 23 وغادرت المهمة ورقلة يوم 5 مارس لتحويل بعين طيبة يوم 19 مارس، ثم بدا عبور الجزء الأكثر صعوبة والذي يؤدي الى البيض، لا ماء ولا أكل لمدة خمسة أيام. ان المهمة كانت محظوظة لتساقط الأمطار، لتصل واحة تماسنين في 29 مارس على الشمال من مسار بودربة إسماعيل. غادر الموكب تماسنين نحو تبليالت التي يصل لها يوم 4 افريل،

[1] عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م، مذكرة دكتورة جامعة الجيلالي يابس سيدي بلعباس 2019-2020، ص48.

[2] ابراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب، ص62.

ثم يمر على عين الحجاج، تكات، واد سامن، اغرغارن، تباتي الى أن يصل بحيرة منخور يوم 17 ابريل وقد اندهشوا من أبعادها ونباتاتها وأسماكها. هنا نصبوا خيامهم في انتظار رؤساء توارق ازجر ولكنهم لم يأتوا، وأخذت المؤونة تنفذ، فتخذ فلاتير قرار الاتجاه نحو الشرق لكن إعترضتهم مجموعة من قبيلة إمنغساتن، فأوقفتهم لعدم حصولهم على ترخيص من الزعماء[1]. "ما دام لم يسمح لنا أخنوخن بالمرور فأنهم سيمنعوننا من مغادرة المكان. أن هذا واضح وأكيد، أنهم يعتبروننا أسرى" كما قال أحد أعضاء المهمة.

لكن فلاتير جمع مساعديه وعرض عليهم الوضعية وهي مغادرة المنطقة والعودة الى الأغواط عن طريق ورقلة للتزود بالمؤونة وإعادة تنظيم الرحلة. وفي يوم 20 أفريل غادروا المكان. دخلوا ورقلة يوم 15 ماي[2].

رحلته الثانية:

رجع فلاتير الى ورقلة، حيث نظم رحلته الى أقصى الجنوب الجزائري واكتشاف بلاد الطوارق ودراسة مشروع مد خط حديدي وظهرت هذه البعثة بمظهر الاستكشاف العلمي والسلمي[3].

وضمنت هذه البعثة إحدى عشر فرنسيا وسبع وأربعون جنديا من الأهالي واثنان وثلاثون سائق بعير وثمانية من رجال الشعابنة للاستدلال عن المسالك، وأربعة من الطوارق ومجموعة من الجمال لتحميل أمتعتهم.

انطلقت البعثة من ورقلة في ديسمبر 1880 متجهة الى السودان. وبعد أيام استقرت البعثة بإيزامن، ثم غادرتها يوم 30 جانفي 1881 للبحث والتعرف على سبخة أمادقور، التي تعد مدخلا لبلاد السودان[4].

---

[1] حسن مرموري، المرجع السابق، ص 165-166.

[2] حسن مرموري، المرجع نفسه، ص168.

[3] اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص103.

[4] مياسي، المرجع السابق، ص63.

وصلت البعثة رحلتها في ظروف صعبة. حيث نفذ مائها وعطش أفرادها وتفككت صفوفها وتباعدت المسافات. وكان العقيد فلاتير يشجعهم حتى عثروا على غدير به قليل من الماء بجانب بئر نصبوا مخيمهم حوله. ثم تابعت القافلة مسيرتها يوم 9 فيفري 1881 عبر الهضاب والتلال وبدأت تتصل بسكان المنطقة وتلتقي من حين لأخر بالطوارق الذين بدؤوا يتحرشون بالبعثة حتى وصلت الى تماسنيت واستقرت بها يومين 12 و13 فيفيري وتفاعل فلاتير في هذه المنطقة مع العديد من الطوارق والذين توعدوه لأنه لم يظهر الاحترام والتقدير[1].

وصلت البعثة طريقها لتعبر مناطق سهل مستقيم، عين الحجاج، وادي امقيدن اين يتلقى ردا من أهيتاغل الذي لا ينصحه بالمرور قدما. لكن فلاتير تجاهل الأمر وواصل طريقه الى غاية يوم 23 فيفري واستقر بتيخسين بالقرب من بئر الغرامة. أين نصبوا معسكرهم فوجئ فلاتير عند وصوله الى البئر بفرقة من الطوارق الجاثمين يغلقون امامهم منفذ الواد[2]. وبالفعل كانت نهاية الحملة في بئر الغرامة.

هدف حملة فلاتير القيام بعملية استكشاف طريق من الجزائر الى النيجر ثم الى تشاد الى أن إصرار المقدم فلاتير على اصطحاب فرقة عسكرية ترافق أعضاء البعثة آثار شكوك وريبة قبائل الهقار. ولما تأكدوا من أهدافها الحقيقية تقرر الهجوم عليها[3].

في القضاء على بعثه فلاتر يدل على أن الإمبريالية الفرنسية عاجزة عن فتح طريق للصحراء من الجزائر الى السودان دون اللجوء الى العمليات العسكرية ولا يسمح لها بذلك الاتفاق بين القرى العظمى لتقسيم إفريقيا[4].

---

[1] المرجع السابق، ص64.

[2] حسن مرموري، المرجع السابق، ص169.

[3]–الغالي غربي، مقاومة الطوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية (1881–1891) ص5.

[4]–أندري برنيان واخرون، المصدر السابق، ص391.

رحلة مارسال بلات (Marcel Polot)[1] 1886:

هو ضابط فرنسي متخرج من مدرسة سان سير (Saint Cyr) العسكرية. نظرا لحبه اللغة العربية التي استطاع استيعابها. عين كملحق للمكتب العربي بسعيدة. كانت له رغبة في استكشاف التوات. فانطلق في رحلته سنه 1885 من الجزائر العاصمة الى البيض ومنها الى المنيعة ودخلت توات عبر تنقوارين بتاريخ 22 جانفي 1886.

وصل إلى تنركوك عن طريق تغنطاس وتفطن السكان لجنسيته لأنه لم يكن يحسن العربية جيدا. ثم توجه الى دول والتقى الشيخ بوعمامة.توجه بعدها الى عين صالح وعين بلبال في 21 فيفري 1886.

وبذلك يكون قد استكشف الطريق الرابط بين البيض وعين صالح كما تعرف على قصور وواحات ومدن الطريق المار عبر توات. وعرف النشاط التجاري الذي يتميز به هذا الطريق[2].

قام الملازم مرسال بلات باستكشاف قصور تيديكلت[3]، ولكنه قتل سنة 1886 بقرب عين صالح، كما قتل المغامر الانجليزي "كامي دول" (Camille Douls) جنوب توات 1888[4].

[1]–دحمان تواتي واخرون، دور اقاليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956– 1962، دار النشر، ص13.

[2]–عبد المالك طاهري، الرحالة والمستكشفون الفرنسيون في توات خلال القرن التاسع عشر ودورهم في احتلال المنطقة، مجلة العصور الجديدة، المجلد 10، ص318.

[3] سميرة دعاشي، الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وإفريقيا الغربي، ما بين 1850–1945 رسالة الماجستير، جامعة غرداية، 2014–2015، ص145.

[4] مياسي، مرجع سابق، ص64.

لقد اختلفت دوافع الرحلات الاستكشافية باختلاف أصحابها. فمن بين الرحالة من كان تدفعه المغامرة نحو اكتشاف الغريب. ومنهم من يدفعه البحث عن مصادر الثروة والمال وتحصيل المكاسب المادية. ومن بين المستكشفين والرحالة من تدفعه دوافع دينية.

ويمكن تلخيص دوافع البعثات الاستكشافية الفرنسية الى توات خلال القرن التاسع عشر في النقاط التالية:

جمع كم هائل من المعلومات حول الجوانب الإنسانية والعلمية والجغرافية. وكان الهدف الأساسي منها في إرسال بعثات استكشافيه فرنسية للمنطقة للتعرف على هذا المحيط الواسع ومحاوله التعرف على الإمكانيات الاقتصادية والبشرية لاستغلالها واستثمارها ومحاولة استكشاف المظاهر الجغرافية والطبيعية والمناخية والطبوغرافية ودراسة المجتمعات السكانية وعاداتها وتقاليدها وتاريخها السياسي والحضاري وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بهدف استغلالها مستقبلا لخدمة المشروع الاستعماري.

المبحث الثاني: التوسع الفرنسي في منطقة تيديكلت:

إن المقاومة الشعبية التي تميزت بها تيديكلت هي امتداد طبيعي للمقاومة الشعبية التي سبقتهاوالدالة على رفض الشعب الجزائري كله السيطرة والغزو الفرنسي الاستعماري وبحكم موقع تيديكلت التي تتموقع في مكان استراتيجي حيث أنها حلقة وصل ومركز هام للالتقاء القوافل التجارية القادمة من الشمال الجزائري والسودان الغربي وليبيا والمغرب. ولم تكن الصحراء الغربية يوما عائقا أمام التبادلات التجارية والعلاقات الاجتماعية بين المجموعات السكانية التي استقرت في هذه المناطق المتباعدة[1].

هذا الموقع الجغرافي الغني بمصادر المياه الجوفية ووفره خيراته الاقتصادية وثرواته الباطنية أصبح محل اهتمام السياسة الاستعمارية الفرنسية والشركات العمومية لربط المنطقة اقتصاديا بالجزائر الشمالية[2].

ولأجل ذلك تم توجيه بعثات استكشافية وتجسسية عديدة إليها منها البعثة التي تكونت من خمس أفراد وعلى رأسها قائد عسكري والتي دخلت الى القصر، وقد صادف دخولها وليمة عرس.فاتجهوا اليها متنكرين بأزياء شعبية فالقي عليهم القبض.ثم افتداءهم بأسرى من عين صالح كانوا عند قائد القوات الفرنسية بغرداية. ولتحذير الفرنسيين أرسل الشيخ المهدي باجودة[3] رسالة إنذار الى الفرنسيين من الاستمرار في مثل هذه الأعمال[4].

وقد زادت هذه الحادثة في تأزيم الأمور بين الطرفين. كما أن قبائل الطوارق كانوا يقتلون اي شخص يشتبه فيه انه على صلة بتلك البعثات. حاولت القيادة العسكرية الفرنسية إخضاع المنطقة سلميا عن طريق الترغيب فأرسلت أحد عملائها العرب هو السيد محمد

---

[1] ابراهيم مياسي، احتلال الفرنسي للصحراءالجزائرية1837-،1930 دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص454.

[2] المرجع نفسه، ص456.

[3] **المهدي باجودة:**ينتمي إلى عائلة دينية سنوسية لها مريدون في تيديكلت. كان والده الحاج عبد القادر اب جودة شيخ الطريقة على الارتباط بالزاوية الام في واحة الجنوب. ينظرMartin: Oasis Saharienne: op.cit, p200

[4] ابراهيم مياسي، المرجع السابق، ص457.

بن الطيب مقدم الطريقة القادرية في ورقلة سنة 1896لاستمالة الحاج المهدي بأجودة، هذا الأخير رفض مجرد التفاعل معه وقام بطرده، عندها بدلت سياسة الترهيب لإخضاع المنطقة[1].

وأصبحت مسالة احتلال أقصى الجنوب الغربي الجزائري أمرا استراتيجيا لفرنسا،وأصبح الإشراف عليها بيد لافرير (Lafferrir) حيث أمر بتشكيل حملاته فلامون (Flamend) التي كانت مهماتها ظاهريا استكشاف طبوغرافية هضبة تادميت ولكنها سريا كانت تجر وراءها طابورا عسكريا، مهمته احتلال المناطق الجنوبية لتوات والمعروفة بمنطقة تيدي كلت كخطوة أولى، الى أن المتتبع لخط سير الحملة يلاحظ أنها لم تعبر هضبة تادميت. أي حسب الهدف المسرح به. وإنما انطلقت من ورقلة الى المنيعة ومنها انعطفت بمحاذاة الحدود الشرقية للهضبة لتصل "فصل إقسطن" أولى قصور تيديكلت من ناحية الشرق ومنها مباشرة الى عين صالح عاصمة المنطقة[2].

وقد انطلقت الحملة يوم 28 نوفمبر 1899 ورفعت تحت قيادة النقيب بان (Pein) رئيس المكتب العربي بورقلة، ومعه فرقة القومية المكونة من القبائل العربية بقيادة محمد بن طيب،وكان مجموع قواتها 130 مهاربا[3].و15 فارسا مدعمين بفرقه الصبايحية بقياده النقيب جيرمان Germain مهمتها الدعم اللوجيستي وحماية مؤخرة الحملة. حيث بلغ مجموع هذه القوات حوالي 700 جندي[4].

---

[1] عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات ابان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، اطروحة الدكتوراه، جامعة احمد دراية، ادرار 2018-2019 ص29.

[2] ابراهيم مياسي، المرجع السابق، ص460.

[3] مهاربا: هي فرقة الجمالة (يستخدمون) الجمال من القبائل العربية الموجودة بالمنطقة، جندتهم فرنسا بسبب معـــرفتهم بطرق الصحراء ولضمان امن وطاعة السكان بعد أن تم احتلال المنطقة. ينظر عبد الله بابا، المرجع السابق،ص170.

[4] -محفوظ رمروم، المرجع السابق، ص15.

أولا: معركة إقسطن (الفقيقرة)[1] 28 ديسمبر 1899م:

في 28 ديسمبر 1899 خيم النقيب بان بجوار فقارة الحاج عبد القادر،وقد أدرك سكان المنطقة أن الحملة موجهة ضدهم، فتهيؤوا للمعركة حيث قام شيخ قبيلة أولا باجودة الحاج المهدي بجمع المقاتلين من القصور المجاورة كقصر الساهلة وحاسي الحجر وأولاد ماحي واولاد دهان (دحان)، اين تمكن من جمع ما يقارب الألفي مجاهد بقصر إغسطن. وفي اليوم الموالي اندلعت المعركة وأبل السكان بلاء حسنا ولكن قوة العدو مكنته من السيطرة على الموقف خاصة بعدما قتل قائد المقاومة الحاج المهدي وأخوه بعمامة من أولاد بابودة، وجرح المرابط افص بيلو جرحا بليغا مما مكن قوات العدو من دخول القصر[2].

لقد كانت معركة إغسطن **(ملحق رقم 05)** من الناحية العسكرية مهمة جدا ذلك أنها جمعت معظم قوات القصور الموجاورة التي جاءت للدفاع عن عين صالح ولذلك كانت نتائجها وخيمة على قصور المنطقة بسبب الخسائر التي تكبدها المقاومون والتي بلغت حوالي 56 شهيد و49 أسيرا من مختلف القبائل فيهم 11 شخصية بارزة من عين صالح منها بكاي بابودة[3].

أما الخسائر المادية فقد اخذ العدو 99 جمالا وما يقارب 500 قطعة سلاح كغنائم حرب بينما لم يسجل في صفوف العدو سوى قتيل واحد و14 جريحا[4].

بعد أن تمكنت القوات الفرنسية من التغلب على المجاهدين في معركة إغسطن أصبحت مدينه عين صالح بدون قوة تحميها مما مكن العدو من دخولها يوم 30 ديسمبر

---

[1] الفقيقرة : تقع غرب فقارة الزوى، تبعد عن عين صالح حوالي 20 كلم و تقع بالقرب من قرية، إغسطن التي تقع شرق مدينه عين صالح. ينظر عبد الله بابا المرجع السابق ص170.

[2] محفوظ رمروم، المرجع السابق، ص16.

[3] محفوظ رمروم، المرجع نفسه، ص15.

[4] ابراهيم مياسي، المرجع السابق، ص458.

1899 دون مقاومه تذكر وبسقوطها دخل إقليم توات الكبير مرحلة جديدة على وهي مرحله التواجد الفرنسي بالمنطقة[1].

ثانيا: معركة الدغامشة[2] 5 جانفي 1900:

ما أن تمكنت القوات الفرنسية من الدخول الى عين صالح واتخذت من قصبة بابودة مركز لها بعد ما رفعوا فوقها العلم الفرنسي، رأى سكان إينغر وبقية القصور المجاورة أن الخطر مشترك فنظموا الى بقية الأهالي لصد العدوان الفرنسي على أراضيهم والدفاع عن ممتلكاتهم أمام الآلة العربية الفرنسية، وهكذا أوصلت النجدات من كل الجهات بعد ما سمعوا بوحشية المعركة الأولى فأرادوا الانتقام لشهداء معركة الفقيقرة.[3]

تجمع المقاومون للوقوف في وجه زحف العدو بقيادة الرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس يوم 04 جانفي 1900 بقوة تقدر بأكثر من بألف مجاهد وتمركز بقرية البركة، التي تبعد عن عين صالح بحوالي خمسة كيلومترات من الجهة الغربية،وقضوا ليلتهم هناك يتشاورون في وضع خطة للدفاع عن وطنهم أمام التوسع الفرنسي، لكن للأسف بينما هم يتشاورون وإذا بالعملاء والجواسيس يسترقون السمع في جنح الظلام ليبلغوا خطة المجاهدين لقوات الاحتلال الفرنسي، لتبني على أساسها استراتيجياتها الهجومية، فتحصنت القوات الفرنسية بالكثبان الرملية الواقعة جنوب غرب عين صالح[4].

وهكذا انطلق المجاهدون في الصباح الباكر من يوم خمسه جانفي 1900 عازمين على تحرير عين صالح وطرد القوات الفرنسية منها وعندما اقتربوا من باغتهم العدوفنشبت معركة ضاربة استمرت يوما كاملا، اظهر فيها الأبطال الشجعان مقدر قتالية فائقة وإقداما رائعا على التضحية، غير ان الموقع الاستراتيجي للقوات الغازية وعدم تكافؤ

---

[1] ابراهيم المياسي، المرجع السابق، ص462.

[2]–الدغامشة: تقع هذه المنطقة على بعد 04 كلم غرب عين صالح، ينظر: معمر باي بلعالم، المرجع السابق، ص9.

[3]–ابراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، منشورات وزارة الثقافة الجزائر، 2008 ص107.

[4]–المرجع نفسه، ص ص 108–109.

الأسلحة، ووجود المجاهدين بأرض مكشوفة، مع تمكن العدو من معرفة عن إمكانيات المقاومين، رجح كفة الفرنسيين مرة أخرى، فكشفوا نيرانهم بعد ما حاصروا المجاهدين بهذه المنطقة الجرداء والمنبسطة[1].

وما زادت تقهقر المجاهدين هو حدوث حادث لم يكن في الحزبان وهو انفجار برميل البارود في المعركة، إذ كان لاشتعاله الأثر البالغ على سير المعركة، حيث كان يتم استعمال بنادق التي تعتمد على مسحوق البارود الذي نفذ، لذا انكسر صف المجاهدين نتيجة قلة التجربة وبدائية الأسلحة وغدر وخيانة العملاء أصحاب النفوس الضعيفة[2].

انسحب المجاهدون الأحياء من الميدان، لمعاودة الهجوم بعد استنفار النجدات من القصور المجاورة والتصدي مرة أخرى للعدو وقد خلقت هذه المعركة أكثر من 150 شهيد و200 جريح[3].

بعد هذه المعركة، تعرضت البعثة لهجمات متكررة طيلة مكوثها بالقصر الكبير، لذلك قرر الوالي العام"لافربار" تدعيمها بقوات إضافية فأمر الرائد "بومقارتن" "Boumgatin"القائد الأعلى لدائرة المنيعة بالتحرك نحو عين صالح على رأس الفرقة العسكرية الصحراوية المتكونة من 150 جندي 150 ومن رجال القوم وذلك للسيطرة نهائيا على المنطقة.وصلت الفرقة الى القصر الكبيريوم 18 جانفي واندمجت مع بعثة "فلامون" لترجح كفته ضد الثوار،وتقضي على المقاومين، فتمكنت البعثة بعد ذلك من مواصلة سيرها وبسط نفوذها على كامل عين صالح[4].

وهكذا وقعت عين صالح وما جاورها من واحات تحت الاحتلال الفرنسي. وذلك بعد انتهاء فلامون من مهمته استقبل بمدينة الجزائر استقبالا رسميا من ظرف السلطات

[1] محفوظ رمروم، المرجع السابق، ص16.

[2] ابراهيم مياسي، المرجع السابق، ص ص 107-108.

[3] ابراهيم مياسي، المرجع نفسه، ص108.

[4] المرجع نفسه، ص 109.

المحلية، كما استقبل من طرف الوالي العام، ليقدم له عرض عن رحلته التي استخلص منها نتائج هامة، حول الملاحظات الجيولوجية والري الصحراوي، الجغرافيا الفيزيائية والفلكية، والإمكانيات الإقتصادية للمنطقة وعلاقة فرنسا بالصحراء والشعوب السودانية[1].

وهكذا حرصت فرنسا على تنفيذ هذه الخطوة الحاسمة في التوسع نحو الجنوب الغربي فأصدر الوالي العام تعليماته الى الرائد "بومقارتن" لإتمام هذا الانجاز، وأمره باحتلال "إينغز" غرب عين صالح[2].

ثالثا: ملحمة إينغز: (ملحق رقم 06)

تعتبر معركة إينغز امتدادا طبيعيا للمعارك السابقة بمنطقة عين صالح، حيث انه يعد الانكسار غير المنتظر للجيش المقاومين لمعركة الدغامشة، توجهالناجون الى إينغز التي تبعد عن عين صالح بحوالي 65 كلم غربا، فتمركزوا هناك وأرسلوا الى سكان القصور والتجمعات السكانية الأخرى لطلب النجدات ومساعدتهم في الدفاع عن الأرض والعرض، وحثوا وخاصة أهل "توات وتيكورارين" لإرسال المزيد من الفرسان والمتطوعين لمواجهة القوات الفرنسية قبل توغلها في كل المنطقة[3].

بمجرد عوده المجاهدين من معركة الدغامشة، شرعوا في شحذ السيوف وتقطيع الحديد ليصنع منه الذخيرة وتحضير العتاد وجمع البارود والقوات والتموين وكل ما هو ضروري لخوض المعركة أما قوات الاحتلال فقد كانت على أتم الاستعداد بقياده الرائد "بومقارتن" الذي كلف ملازمه "كلوستر" (Clouster) بالسير الى إينغز[4].

على راس مائة فارس للتعرف على هذه الواحات، فغادر عين صالح بيوم 21 جانفي، 1900 ودخل إينغر بدون ان يتعرض لأي مقاومة تذكر مما جعل الرائد

---

[1] عميراوي أحميدة، المرجع السابق، ص 109.

[2] محفوظ رمروم، المرجع السابق، ص17.

[3] ابراهيم مياسي، المرجع السابق، ص467.

[4] محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص73.

"بومقارتن" يسارع الى اللحاق على رأس كوكبة من الصبايحية الصحراوية ومائة جندي ومائة وعشرون من القوم لاحتلال كامل الواحات،وترك وراءه في عين صالح قوة متكونة من الملازم جون(Jean)مع 30 جنديا و30 القوم[1].

من وصل الرائد الى يوم 24 جانفي وطلب من السكان الخضوع للاحتلال الفرنسي لكنهم ابو ذلك واحتموا بقصورهم وفضلوا المقاومة على التسليم وكان الرد سريعا وعلى لسان شاعر المقاومة الشعبية عبد النبي البوتقي الذي يقول في هذا الشأن ومما تحفظه الذاكرة الجماعية ما يلي:

غبر المكتوب والمقدر في الزمان*** لا بد نصرفوه هذا داركانا

ابعث بوشاطته يطلب التسيار*** واحلفنا باليمين لاصارت عنا

وقد اعزز هذا الراي وموقفه زعيم المعركة بقصبة المرابطين عزت الحاج محمد بقولته الشهيرة: والله له مات كبارها وضجوا أسوارها ونخلط أنساها مع صغارها لا تستسلم

إذ لجاءت القوات الفرنسية الى عملية الاقتحام الشامل للقصبتين، غير انه فشل الاقتحام أمام شدة المقاومة فتكبدت القوات المهاجمة خسائر المعتبرة في العتاد والأرواح، حيث استمر القتال من ليلة 24 جانفي 1900 الى عشية 25 من نفس الشهر وفي هذا الصدد يصف الشاعر الشعبي "عبد النبي بوتقي" فيقول:

اطلع فوق العرق واقذف النيران*** رعد حس الزهير عند السكن

من نصف الليل الى غدا في نصف النهار*** صار القرطاس بيني عاملا صرفا[2]

لقد حاول القائد الفرنسي مرات عديدة اقتحام إينغر وقد واجهه مقاومة باسلة ومناوشات عديدة مما اضطره الى التعزيزات والأسلحة والعساكر وتزويده بسلاح المدفعية من مركزه الكائن بالمنيعة وذلك لاقتحام القصبتين الصامدتين.

[1] خنفار حبيب، المرجع السابق، ص73.

[2] ابراهيم مياسي، (الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية...)، المرجع السابق، ص468.

لكن بعد الهجوم الفرنسي الفاشل على القصور المكافحة تلقى الرائد "بومقارتن" تلغراف من قائد الجيش الفرنسي بالجزائر يأمر فيه أن لا يحاصر أي قصر، وعليه بالتراجع الى عين صالح[1].

وقد صدرت هذه التعليمات عن وزير الحربية نفسه وهي في الحقيقة ضد رغبة الوالي العام الذي أراد أن يحتل كل منطقة بتيديكلت وبكل سرعة في هذه المرحلة قبل استعداد أهلها وتلقي المساعدة من "المغرب الأقصى"لهذا شرع قائد القوات الفرنسية بعين صالح باستعمال أساليب الترغيب والترهيب لاستمالة السكان إليه واستسلام أهالي المنطقة له.

وبعد عيد الفطر وصل القائد جيلالي رحمون الى توات برسائل، أي حوالي سبعة عشره رسالة من السلطان المغربي ليسلمها الى خاله الباشا إدريس بن الكوري، باشا صف احمد بمنطقة تيمي، ليرسلها الى مختلف الأقاليم التواتية لينظم ويجمع المقاتلين النظاميين ويتوجه بهم الى إينغر، وفرض على المتخلفين عن القتال غرامه تقدر بمائة دورو خمس مئة فرانك، واستطاع ان يجمع في البداية ما يقارب الألف وثلاثة مئة مجاهد توجه بهم الى إنغر التي دخلها يوم 13 شوال 1317ه/ 14 فيفري 1900[2].

ومهما، يكن فقد استعد الجميع للقتال ويئس العدو من المناورات، فجمع قواته بعين صالح يوم 14 مارس 1900 وشكل منها طابور قويا يتكون من ألفبندقيةو150 سيفا ومدفعين ثم يتحرك الجميع نحو إينغر تحت قيادة العقيد أو "Eu"،فعلم الباشا بذلك في المساء فاستعد للخروج من الغد في الصباح على رأس فرقة صغيرة ليتجسس الموقف،ويراقب قدوم الفرنسيين، وكان في اعتقاده هو أن القوات الفرنسية حينما تراه ستتوقف احتراما له، باعتباره مواطنا مغربيا لكنه حدث العكس حيث فاجأته فرقه

[1] خنفار حبيب، المرجع السابق، ص149.

[2] ابراهيم مياسي، (الإحتلال الفرنسي ...)، المرجع السابق، ص468.

الصبايحية قرب عين طارق شرق إينغر بأربعة عشرة كيلومتر ورمته بنرانيها فر على أأرها الى إينغر.[1]

وصلت القوات الفرنسية الى إينغر يوم 18 مارس ،1900 فسارع المجاهدون بالتحصن بالكثبان الرملية التي تحيط ببساتين النخيل من الشرق، وقضوا الليل بها فظن منهم أنهم يحمون بذلك مدخل الواحة من العدو وقد تفطن قائد القوات الفرنسية الى هذه الإستراتيجية فأعطى أوامره الى الخيالة بالتوجه الى الواحة الغربية لإينغر[2].

والتمركز هناك قبل بلوغ الفجر، كما أمر المهاري لتخطي الكثبان، فنشبت المعركة في الصباح الباكر من يوم 19 مارس 1900، وحاولت القوات الفرنسية زعزعة الصفوف الأمامية للمجاهدين المدافعين، ليتركوا على الكثبان ويجتمعون بغابات النخيل، ثم عزز القائد الفرنسي هجومه بدفع المشاة للتقدم لتطويق الكثبان، مع صب نيرانهم على المقاومين بالغابة.الأمر الذي اضطرهم الى الإنسحاب والاحتماء بالحصون. فتوجه قسم منهم الى قصبة أولاد حادقة، والقسم الآخر الى قصبة أولاد احمد جلول من اجل تنظيم الدفاع[3].

غير أن القوات الفرنسية تمركزت فوق الكثبان ونصبت سلاح المدفعية عليها.لتدك بها الحصون.وبذلك تمكنت من فتح ثغرات بالقصبة، وقد وصف الشاعر هذا العمل المدفعي العنيف بقوله:

في العرف أنهى مدافعوا أوقدت النار*** كسرت الأسوار مدافع كاملة كيف أخرجها

وبعد تحطيم القصبة الأولى، ركزت القوات الفرنسية أصفها على القصبة الثانية قصبة المرابطين لتحطم أسوارها وتفتح بها ثغرات[4].

---

[1] خنفار حبيب، المرجع السابق، ص153.

[2] خنفار حبيب، المرجع السابق، ص155.

[3] ابراهيم مياسي، (المقاومة الشعبية...)، المرجع السابق، ص113.

[4] المرجع نفسه، ص115.

ثم قامت فرنسا بعدة محاولات لاقتحام القصبة تكبدت خلالها بخسائر فادحة في الأرواح والعتاد وتحطمت أمام بطولة وبسالة المجاهدين بقيادهم عزي الحاج محمد في مواجهة القوات الفرنسية وكانوا يقاتلون من داخل القصبة والمساجد والبساتين

وبعد مناوشات عديدة بين الطرفين رفع باشا تيمي الراية البيضاء لتتوقف المعركة ومن ثم يدخل العدو الى الواحة المجيدة في مساء 19 مارس 1900.

وبعد هدوء العاصفة انسحب ما بقي من المجاهدين عن طريق الجهة الغربية من إينغر الى القصور المجاورة ثم ألقى القبض على الأهالي الذين على قيد الحياة فجمعتهم القوات الغازية في ساحة واحدة بالانتظام لإصدار الحكم فيهم. الى أن ضابط ساميا تدخل وأمر بإطلاق سراحهم[1].

أسفرت معركة إينغر على أكثر من 500 شهيد وما يفوقها من جرحى وخسائر مادية فادحة. أما العدو كانت خسائره معتبرة.

بعد هذه المرحلة من خضوع إينغر توجهت القوات الفرنسية الى احتلال تيط يوم 23 مارس، لتدخلها في الغد دون مقاومة،وفي 25 مارس انتقلت قوات الاحتلال الى أقبلي التي تشمل على أربع أو حمس قرى صغيرة. وفي 28 مارس تم احتلال أولف التي تتألف من ثلاث قرى[2].

[1] ابراهيم مياسي، (الإحتلال الفرنسي ...)، المرجع السابق، ص471.

[2] ابراهيم مياسي، (المقاومة الشعبية..)، المرجع السابق، ص113.

المبحث الثالث: الاحتلال الفرنسي لمنطقة قورارة وتوات الوسطى

أولا: احتلال قورارة:

بعد ما تمكنت القوات الفرنسية من إخضاع قصور منطقة تيدكلت في الجنوب وتم تطبيق تنظيم إداري مؤقت مع توزيع حاميات عسكرية على المراكز المهمة. تراجعت الحملة العسكرية إلى مركز المنيعة. تمت إنهاء مهام الحملة العسكرية التي أطلق عليها اسم "حملة تيدكلت " في ماي 1900 وكانت تحت قياده العقيد D'eu[1]وفي نفس هذه الفترة تقرر احتلال قورارة في مايو جوان 1900 عن طريق تحرك فرقتين عسكريتين الأولى انطلقت من جيريفيل(البيض) بقيادة العقيدLe Tulle عبر العرق نحو واحات قورارة والثانية بقيادة العقيدMenestrel من حصن ما كما هو نعبر واد مقيدن نحو مدخل واحات قورارة[2].وتم اللقاء بين الفرقتين مشكلة الحملة العسكرية التي فاقت جنودها الألف جندي من مختلف الأسلحة[3]. في يوم 17 ماي 1900 وصلت هذه الحملة الى الواحات الشمالية لإقليم قورارة، بداية بقصر فاطيس الذي رفض فتح الأبواب واستقبال الحملة، ولكن استخدم سلاح المدفعية ضد هذا القصر الصغير الذي جعل سكانه مجبرين على فتح الأبواب وتقدمت الحملة الى أن احتلت تيميمون عاصمة الإقليم[4].

يوم 25 ماي 1900[5] تم تأسيس ملحقة المكتب العربي وتدعيمه بكتيبة المشاة الصحراء. وبقي إقليم توات الذي يحدده تيدكلت من الجنوب الشرقي وقورارة من الشمال، خارج المناطق المحتلة، تم توجيه القوات بقيادة العقيد Menestrel نحو الشمال الى حصن

[1]- P.N, La Conquête du Touat, Revue du Cercle Militaire, Bull des Réunion d'officiers des Armées de terre et de mer, N20, 18 Mai 1901, P510.

[2]- Adjudant, Lehuraux, l'Annexe d'In-Salah et la Compagnie Saharienne du Tidikelt depuis leur Création, B.S.G.A.A.N, 1914, 19eme année 1914, 1er Trimestre, Première F, Montegue, Alger, pp.295-299.

[3]- Guillaume De Champeaux, a travers les Oasis Sahariennes, les Spahis Saharienne, Ed.R. Chapelot, Paris, 1903, p25.

[4]- Baquéy, Op Cit, p23.

[5]– Champeaux, op.cit p61.

مكاهون يوم 10 جوان. حيث وصل إلى هذا البرج يوم 17 جوان 1900 تاركا حاميات عسكرية في عدة مراكز بمؤونة تكفي إلى حلول فصل الخريف.

خلال شهر جوان 1900 قام الجنرال Serviérs بدورية تفتيشية في تيدكلت، عبر واد مية. وعبر جنرال منطقه توات من الجنوب نحو الشمال وصولا الى قورارة بقيادة النقيب Pien أي حوالي 150 فارسا، وكانت هذه الدورية سلمية بحيث تمكنت من المرور عبر قصور توات وصولا الى أدرار عاصمة هذا الإقليم أدرار. واستقبل من طرف جماعة كبار أدرار. وواصل تقدمه نحو الشمال الى تيميمون في قورارة وسافر الى مراكز سلطته في الجزائر العاصمة مع نهاية شهر جوان 1900[1].

1. معركة المطارفة 30 ماي 1900:

بداية من شهر أفريل 1900، كان التحضير للمقاومة في واحات قورارة ضد الاحتلال بحشد القوات من قصور المنطقة وخارجها. كذلك تزعم هذه المقاومة القائد عبد العزيز بن الحاج احمد من المطارفة[2]، وهي واحة تقع في تجمع واحات الساهلة التيجانية جنوب تيميمون بحوالي 80 كيلومتر، وتضم أولاد بودهان وأولاد اشمياناو عزي والزوى[3].

استطاعت الاستخبارات الفرنسية في مركزها في تيميمون من جمع معلومات عن حركة الاستعداد التي يقوم بها المجاهدين. فخارج في 27 أوت قائد مركز تيميمون النقيب Falconetii على رأس قواته نحو واحة المطارفة، التي رفض سكانها فتح أبواب القصر[4]، وهذا ما ادى الى اصطدام الطرفين في معركة كبيرة في ضواحي القصر، حيث استبسل المجاهدون وابلو بلاءا حسنا، أرغم العدو، تطور أسلحته الى التراجع الى قصر دلدول وانتظار الإمدادات. وبعد ما وصلت الإمدادات العسكرية اندلعت المواجهات مره

[1]- Baquéy, Op, Cit, P.24.

[2]–الشيخ مولاي التهامي الغيثاوي لفت الأنظار ما وقع من النهب والتخريب والدمار لولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ص124.

[3]- Voinot Louis, Le Tidikelt Etudes sur la Géographie les mœurs du Pays, Ed Jacques Gandini, 1995, p88.

[4]- Baquéy, Op. Cit, p88.

ثاني في 5 سبتمبر 1900 بين الطرفين،مستعين كل طرف بما تحت يديه من نقاط قوة، حيث انضم مجاهدون من قبائل الشعابنة والغنائمة، وتم التحصن وراء الكثبان الرملية التي عطلت عمل المدفعية. وهكذا كانت المعركة حامية تمكن فيها المجاهدون من دحر القوات الاستعمارية بقيادة فالكونتي. لقد كان الإستراتيجية العسكرية التي طبقها مقاومة القصر دورا في انتصارهم حيث استفاد من دروس مجزرة إيغر وفاتيس، فبدل البقاء في القصر وتجميع النساء والأطفال في قصباته، تم إخلاء سكان القصر الى الخارج، وذلك لتعطيل دور المدفعية من جهة وتقليل الخسائر البشرية التي غالبا ما كانت تؤثر على صمود المقاومة[1].

لقد كبدت هذه الخطة الجيش الفرنسي خسائر فادحة تجاوزت مئات القتلى والجرحى، منهم قائد الفيلق العربي أحمد بن عدة، وبذلك سقطت أسطورة المدفعية الفرنسية رغم معظمهم حاول أن يبرر هذا الانهزام بأسباب دينية وطبوغرافية.

لقد ضمن هذا الانتصار لسكان القصر استقلالهم الديني والاجتماعي والاقتصادي وفق المعاهدة التي أبرمت بين الطرفين[2]. وكان شروطها كالآتي:

- ✓ عدم تدخل فرنسا في الدين الإسلامي لأهل البلاد.
- ✓ عدم إعطاء ضريبة أو أتعاب أو غيرها.

وأظهرت معركة مطارفة مدى المشكل الكبير الذي وقع فيه المستعمر الفرنسي رغبه امتلاكه أحداث الوسائل العربية. لكن استفادة سكان المنطقة من عامل البيئة الصحراوية (العروق والواحات) وتمسك المقاومين بأرضهم ودينهم جعلهم يرفضون شروطهم على المستعمر الفرنسي[3].

---

[1] تواتي دحمان واخرون، المرجع السابق ص ص20-21.

[2] تواتي دحمان واخرون، المرجع نفسه، ص21.

[3] عبد الله بابا، المرجع السابق، ص42.

ثانيا: احتلال توات الوسطى:

بعد سقوط المطارفة وتوقيع معاهدة الصلح توجهت أنظار الجيش الفرنسي نحو توات. كلف الجنرال سرفيار بالحملة العسكرية على وتوات بين فيفري ومارس 1901 وكان عدد القوات حوالي 650 جندي اغلبهم من الجزائريين، وانطلقت من المنيعة يوم 17 جانفي نحو تيميمون عبرواد ميغيدان عن طريق حصن فور مكماهون. وصولوا الى تيميمون يوم 26 جانفي، حيث تم استقبال الحملة من طرف العقيد Cauchemez القائد العسكري للواحات منذنوفمبر من السنةالماضية،وبقاء هذه القوات كان للراحة واستغلال هذه الوقفة لجمع معلومات استخباريه عن المناطق المراد اخضاعها بين تيميمون وطلمين ودلدول والمعروف بأسرارها على المقاومة وعدائها للاحتلال الفرنسي[1].

وكان الدور الذي لعبه الضابط Joly في هذه المهمة مع فرقته الصباحية للصحراء في توات.كانت له خبرة كبيرة في الصحراء وكان تحت قيادته عدد من الشعابنة (التائبين) ويدينون بالولاء والإخلاص التأمل قائدهم ولهم معرفة جيدة بمنطقة توات وخاصة المنطقة بين دلدول و"طلمين" لتفادي أي مفاجأة من طرف المقاومة، ولضمان امن هذه الحملة تم استدعاء القائد "دورو"من تديكلت الذي قدم خدمات هامة سهلت مهمة الفرنسيين في حملتهم خلال صيف 1900. لضمان نجاح الحملة جاء 11 أسير من أعيانا وكبار المنطقة الذين أسروا خلال معركة انغر واغلبهم كانوا من توات.تهدف الى التأثير على سكان توات وكان من بينهم اخ قائد تيمي الذي حاول إقناعهم بالعدول عن أي عمل عسكري ضد فرنسا.[2]بالإضافة الى الإجراءات التي اتخذها الجنرال سرفيار بضمان تحقيق أهداف الحملة، ذهب الى استغلال الصراع القائم بين الطرفين بين احمد وسفيان من اجل التوغل والسيطرة. بحيث كسب ولاء الشخصيات المؤثرة في كلا طرفين. فلم تكن غاية التوسع

[1]- E. Caquiére, La Deuxiéme Reconnaissance du Géneral Serviére au Gourara et au Touat, Bul. C.A.F, 1902, p32.
[2]- Ibid, p31.

والاحتلال تعتمد على قوه السلاح فقط بل كانت تستغل كل نقاط الضعف داخل هذه المجتمعات الصحراوية لإضعافها واحتلالها بأقل جهد.

وتمكنت الحملة من ضمان استسلام اغلب قصور المنطقة من قصور ساهلة ومطارفة. ثم دخلت هذه القوات سلميا في "بريكن" و "تسابيت". ثم توجهت الى أدرار في تيمي ويعتبر أهم قصور المنطقة. وتمكن الجنرال سرفيار من تحقيق أهدافه دون استخدام السلاح، ولكن روح المقاومة كانت قائمة في منطقة توات بعد الهجوم المفاجئ على الحملة العسكرية في تيميمون في 18 فيفري 1901.

اعتمدت قوات المقاومة على أسلوب جديد وأكثر جرا, في حربها ضد الاحتلال فقدت تدعمت المقاومة الشعبية بالمتطوعين الذين أطلق عليهم قادة وضباط الاحتلال "البرابرة" وهي القبائل الواقعة في المناطق الجنوبية الغربية للجزائر إضافة الى واحات"طلمين" و"شروين" وقد تمثلت إستراتيجية المقاومة الجديدة[1] في الهجوم المفاجئ على الحامية الفرنسية في تيميمون[2]. التي كانت بها حامية عسكرية تحت قيادة الرائد "Reibell" والتسلل ليلا الى داخل القصبة عبر أحد الأبواب الخلفية التي لم تكن محروسة واندلعت المواجهة، داخل أسوار المدينة مما أحدث فوضى في صفوف قوات الاحتلال. وكان عدد القتلى في صفوف قوات الاحتلال كبيرا. ووجد ضابط جيش الاحتلال صعوبة في إعادة تنظيم صفوفهم وقواتهم داخل المدينة. ومن استحبت قوات المقاومة بعد أن كبدت الاحتلال خسائر عالية وغير عادية[3].

وباعتبار أن قوات الاحتلال كانت مكونة من أفراد القبائل الجزائرية المتعاونة مع الاحتلال فكانت عملية إحصاء الخسائر الفرنسية، الذي كان عددهم يعد على الأصابع أما

---

[1]- P.N. La Conquéte du Touat, Op. cit, p533.

[2]-روس ادان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، المواجهة الغربية الامبريالية الفرنسية 1881-1912 تر: أحمد بوحسن مراجعة السبسي، الرباط، 2006,ص214.

[3]-P.N, Op Cit, P533.

الجزائريين الذين قتلوا في صفوف الجيش الفرنسي فكانوا لا يتم إحصائهم ضمن خسائر الجيش الفرنسي.

قام ولاد زنان باستغلال الانتصارات التي حققتها المقاومة في أوت 1900 في ساهلة ومطارفة، وهجموا على مركز على أولف. الذي كان مقرا عسكريا وفرنسيا، لكن وجود الملازم Cottenest بقواته في عين صالح تمكن من نجدة هذه الحامية يوم 2 مارس واخماد هذه العملية العسكرية.

لم تتوقف المقاومة باحتلال عاصمه توات بل اندلعت المقاومة في منطقة شروين وطلمين.

1. معركة شروين 28 فيفري 1901:

خلفت معركة المطارفة انعكاسات سلبية على الجيش الفرنسي الذي سرح بعض أفراده ونقل الباقي. كما اهتز له القائد العام لناحية الجزائر الجنرال سيرفيار (الذي كان إقليم توات يتبعه)واضطر الى قيادة طابور ضخم بنفسه[1].وتوجه شمالا لملاحقة قوات المقاومة وقطع الطريق عليها في الانسحاب غربا نحو شروين[2]. على رأس 600 الجندي من مختلف الأسلحة ومجهزه بأربعه مدافع جبلية من عيار 80 ملم،وتمكن من الوصول الى قصر شروين الواقع في شمال الشرقي للواحة اليوم 28 فيفري، واندلعت المعركة حيث قام المجاهدون بهجومات عنيفة على القوات الاستعمارية التي خلفت خسائر بشرية ومادية معتبرة[3]. وباستغلال المقاومة لكثافة النخيل في الواحة والأودية. فنصبت عدة كمائن للجيش الفرنسي. ثم انسحب المجاهدون الى داخل القصر بعد أن حاولت قوات المشاة تطويق مناطق تمركزهم بعد وصول قوات إضافية لدعم قوات الاحتلال يوم واحد مارس.

استخدمت القوات الاستعمارية سلاح المدفعية شروين ضد قصور.واستراتيجية المقاومة التي اعتمدت عليها هي مواجهة العدو والتي يكون اختيارها. لذلك خرج

[1]–احميده عمراوي، المرجع السابق، ص ص59–60.

[2]-E. Laquiére, Op Cit, p32.

[3] غيتاوي، لفت الأنظار، المصدر السابق، ص123–124.

المجاهدين يوم 2 مارس ليلا من القصر وتوجهون نحو عرق يوم 3 مارس فتلقت الاحتلال فتلقت قوات الاحتلال هزيمة شنعاء، ذهب ضحيتها الجيش من الضباط الفرنسيين راملون "Ramillon" والملازم De la Hellerie و23 قتيل اخر،وأجبرت هذه القوات على الفرار من المعركة إلى مخيم القوات في شروين[1].

وانتهى حصار قصر شروين يوم 4 مارس بدفع غرامه لحرب وتقديم الرهائن. بعد تقديم وتسليم السلاح انسحبت المقاومة الشعبية الى الشمال نحو قصر "طلمين".

2. معركة طلمين 9 مارس م1901:

استمرت أعمال المقاومة بعد سقوط شروين في أماكن مختلفة من المنطقة. وضمن هذا الإطار،عرفت معركة فاصلة بين المقاومة والجيش الفرنسي. في 6 مارس غادرت قوات الاحتلال شروين متجهة نحو طلمين التي كان سكانها يستعدون لمواجهة. وفي 9 مارس وادخل العدو سلاح المدفعية الذي كان له الأثر الكبير في تقرير نتائج المعارك المذكورة. إضافة إلى تطور الأسلحة جنود الاحتلال والقوات النارية التي صنعت الفارق بين القوتين وسقطت على اثر قتال عنيف سجل خلاله مجاهدون بطلات مشرفة دفاعا عن دينهم وعرضهم حققها التاريخ للأجيال المتعاقبة[2]. سقطت طلمين تحت الاحتلال بعد أن شارك في الهجوم على تيميمون ورفضت كل المساومات عندما أرسل Ménestrel وفد للتفاوض حول الاستسلام. وتوقفت المعركة عندما أرسل لكبار قصر طلمين رسالة طلب الأمان وقبول الشروط المفروضة المتمثلة في تسليم السلاح ودفع غرامة الحرب وتسليم الرهائن من الكبار الشخصيات الهامة في القصر[3].

وفي برقية بعث بها الجنرال سيرفيار الى الجزائر يوم 14 مارس على انه غادر طلمين بعدما استقبل الوفد الذي طلب الأمان وأدى الشروط التي فرضت عليهم وكان من بين

---

[1]- Champeaux, Op Cit, P63.

[2] غيتاوي، لفت الأنظار، المصدر نفسه، ص124.

[3]- E. Laquiere, Op, Cit, p33.

الرهائن لشيخ طلمين محمد بن مازلق العدو اللدود لفرنسا وكان قائد المعركة. هؤلاء الرهائن يكونون كضمان لعدم تكرار ما حدث وسوف ينقلون الى الأغواط.

أما القوات فسوف يشرع في حلها وتوزيعها من يوم 15 مارس حيث سيتوجه العقيد Ménestrel بجزء من القوات نحو تيميمون والبقية تعود الى توات. ثم واصل الجنرال سرفيار تقدمه نحو ادرار يوم 23 مارس ثم توجه نحو سالي ورقان في اتجاه تيديكلت[1]. فكانت هذه آخر المعارك التي شهدتها هذه المنطقة التي كلفت الاستعمار خسائر مادية وبشرية ضخمة فقد قدرت المصاريف العسكرية لسنة 1900 بمبلغ 21 مليون فرانك[2].

عززت معارك للصمود في المطارفة إدارة المقاومة في إقليم توات. فكانت معركة قصر طلمين في الثامن ماي 1901 حيث وقاتل رفقاء محمد بن عبد الله بكل ببسالة إلى أن أسر واستشهد ثمانية من رفقائه مما مكن العدو من إكمال مشروع احتلال منطقة قورارة[3].

لم تتوقف المقاومة في إقليم توات رغم اختلال التوازن بين المقاومة الباسلة وتفوق العدو ميدانيا. وبعد سنتين على معركة طلمين.تجددت المواجهة في تيكورارين وذلك بتجدد مقاومة حاصل الغزال التي اندلعت في شهر أوت 1903 ودارت معركتان كبيرتان خسرت فيهما القوات الاستعمارية 28 عسكريا. نقلوا الى مدينة أدرار حيث تكونت من جثثهم أول مقبرة للنصارى في هذه المدينة[4].

وقبل ذلك انتفضت طلمين بمنطقة تيديكلت في 7ماي 1902 بقياده الشيخ عثمان ومعركة الكوديا في ديسمبر 1902 بقيادة الشيخ ابن دراجي، وقبلها المعارك التي خاضها زين العابدين ضد بونييه Colonne Bounnier وهي المقاومات التي تدل على حركية سكان المنطقة ورفضهم الوجود الفرنسي مما يعني ان الوضع في إقليم توات لم يستقر

[1]-E. Laquiere, Op, Cit, p33
[2]- Baquéy, Op, Cit, p28.

[3] تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص22.

[4] توتي دحمان، المرجع نفسه، ص22.

يوما للقادة الاستعماريين. فالكمائن وحرب العصابات ظلت مستمرة.الثورة ظلت تنتقل من توات الى الهقار ومن توات إلى بشار[1].

بعد أن بسطت السلطة الفرنسية نفوذها بمنطقة الهقار. حاولت القوات الفرنسية التوغل في منطقة جانت في أول مسعى له سنه 1908، غير أن الدفاع والمقاومة لأهل الطاسيلي بقيادة الشيخ "أمود". خيبت آمالهم لأنه رفض معاهدة الصلح ومواصلة الجهاد ضد المحتل وقال مقولاته الشهيرة: **"لن أضع يدي في يد الكفار لأنني أقسمت بالله إلا انظر إليهم إلا بالقتال"**[2].

لقد تميزت سنوات ما بعد 1900 بإعادة تنظيم المناطق المحتلة حديثا حتى يتسنى للسلطة الفرنسية ربط مناطق الجنوب الصحراوي بالجنوب الوهراني.كما لجأت لإقامة الثكنات العسكرية والأبراج العسكرية لمراقبة المناطق التي احتلتها.

وفي سنة 1916 وبعد أن أعلن الطوارق الثورة بقيادة الحاج محمود لشيخ أجار في منطقة الطوارق الأزجار نواحي جانت. انضمت إليه المقاومات السابقة في الصحراء إضافة الى بعض أفراد الجزائريين من قبيلة الشعابنة المجندين في الفرق المهارية. وتمكن الطوارق من الاستيلاء على كثير من المراكز العسكرية. ومن ثم قررت فرنسا إنشاء القيادة المؤقتة لأقاليم الصحراء في 12 جانفي 1917م. ومنحتها مهام الدفاع والشرطة،ولقيادتها كامل الصلاحيات التي تراها ضرورية لا عاده الأمن والاستقرار بالمنطقة[3].

استمرت مقاومات الصحراء الجزائرية حيث هدأت مناطق الجنوب الجزائري وتمكنت القوات الفرنسية من التوغل فيها والوصول الى أعماق المناطق البعيدة فيها[4].

---

[1]- تواتي دحمان ،المرجع السابق، ص23.

[2]-ابراهيم مياسي، (الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية...)، المرجع السابق، ص ص 534-535.

[3]-محفوظ رمروم، الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمواجهة العسكرية الثقافية، جامعة، أدرار، ص78.

[4]-المرجع نفسه، ص78.

خلاصة الفصل الثاني:

نستخلص من خلال هذه الدراسة أن الرحلات والبعثات الاستكشافية الفرنسية استطاعت جمع كم هائل من المعلومات حول الجوانب الإنسانية والعلمية عن الصحراء الجزائرية. غير أن تلك النتائج والمعلومات لم تكن مقصودة لذاتها وإنما كانت لغايه منها مشاريع اقتصادية وأخرى توسعية. ومن أبرز النتائج التي حققتها تلك الرحلات والبعثات الاستكشافية في القرن التاسع عشر على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري. تمكين الجيش الفرنسي من ترتيب الأمور المادية للتوغل في المنطقة مع مطلع القرن العشرين رغم المقاومة التي قام بها سكان المنطقة.ومن ذلك احتلال عين صالح، تيديكلت، قورارة وتوات.

أما المشاريع التي أقيمت لأجلها الدراسات وسخرت لها البعثات والقوافل لم ينجز بعضها مثل مشروع البحر الداخلي ومشاريع أخرى من أنجز جزء منها فقط مثل السكة الحديدية رغم الاتفاقات التي أبرمت من اجل ذلك مع زعماء الطوارق. ومن هنا يمكن القول بان الاستكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية خلال القرن التاسع عشر الميلادي لم تكون بريئة. وأنه ما كانت فرنسا قادرة على احتلال الجنوب الجزائري بذلك القدر المحدود من الجهد والوقت لو لم تشهد الصحراء تلك الاستكشافات بهذا الحجم الذي تكلمنا عنها.

خاتمـــــــة

خاتمة:

توصلنا من خلال دراستنا لموضوع المقاومة الشعبية في إقليم توات من 1850م/ 1914م إلى نتائج أهمها:

- اختلاف التفسيرات وكثرة الروايات حول تسمية منطقة توات، ويرجح أنها تسمية بربرية استنادا على تسمية معظم أسماء القصور والمناطق التواتية بتسمية بربرية وأغلبها كانت تشترك فالبداية بحرف التاء مثل تميمون وتمنطيط، كم ذكرها الكثير من الرحالة والجغرافيين نظرا للموقع الاستراتيجي الهام الذي يتمتع به الإقليم.

- كما تعددت مشارب وأجناس الإقليم التواتي، إذ تشكل من البربر الذين يمثلون أغلبية السكان (الزناتة، الملثمين) بالإضافة إلى وجود العنصر العربي (الأشراف) القادمين من المغرب مع وجود عناصر أخرى المتمثلة في الحرطانيين والعبيد واليهود، وتميز المجتمع التواتي بعادات وتقاليد، جعلته يختلف عن المجتمعات المجاورة له وذلك بسبب تمسك سكان بمعالم الدين الإسلامي.

كما عرف هذا الأخير تحول مبانيه الطوبية إلى تجمعات سكانية لابأس بها، يمكن وصفها بالمدن أو الحواضر شكلت مركز إشعاع ثقافي كان له دور كبيير في مختلف المجالات.

- كما تميز الإقليم بتدهور وعدم الإستقرار في الجانب السياسي وذلك بسبب الصراعات والنزاعات بين قبائله (صف ياحمد وصف سفيان) بالإضافة إلى غياب كيان سياسي واضح المعالي يسير سكان الإقليم تواتي.

- شهد إقليم تواتي في مجال الإقتصادي تطورا وازدهارا وذلك من خلال ممارسة الإنسان التواتي لمختلف الأنشطة من زراعة وصناعة وتجارة وحاول الإعتماد على نفسه في تأمين قوته وتحقيق نهضة إقتصادية رغم بعد المكان وقسوة الطبيعة. وقد انعكس هذا التطور على الحياة العلمية والثقافية بداخله، وجعل من الإقليم ملجأ للعلماء الذين أسهموا في النهضة العلمية والثقافية.

– التوسع الإستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري لم يكن وليد الصدفة بل كان تخطيطا مبرمجا منذ زمن بعيد، فقد أرسلت فرنسا بعثات استكشافية ممتالية إلى منطقة توات مكونة من رجال الدين المسحيين والمغامرين والمستكشفين خلال القرن التاسع عشر ميلادي إلى هذه المناطق الصحراوية أمثال "هنري دوفيريه، مرسال بالات" وغيرهم.

– انتهت هذه الدراسات إلى أن المجتمع الجزائري في منطقة توات غير منسجم وغير متماسك ويمكن إثارة الفتن، وتطبيق سياسية فرق تسد لتسهيل عملية السيطرة.

– بدأت المقاومة في الإقليم ضد توغل الإستعمار الفرنسي منذ محولاته الأولى لتوسع فرفضت قبائل لامنطقة أي تواجد فرنسي مهما كان نوعه، حيث منعت الرحالات من المرور في اقليم.

– نظر التفوق العسكري الفرنسي في العدة والعتاد، وقلة إمكانيات المقاومة وعدم التنسيق بين أطرافها وعدم شموليتها وتوحيد أعمالها جعلها تفشل أمام الضربات المتتالية للإحتلال الفرنسي، وتمكنت في الأخير فرنسا تدريجيا من السيطرة على إقليم توات والتوغل بداخله.

ملاحـق

الملحق رقم 01: الموقع الجغرافي لإقليم توات

فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص3.

الملحق رقم 02: المناطق المكونة لإقليم توات

عميراوي حميدة، المرجع السابق، ص157.

الملحق رقم 03: رحلة جيهارد رولف

VUILLOT, L'Exploration du SAHARA, Paris, 1895

إبراهيم المياسي، (التوسع الفرنسي)، المرجع سابق، ص56.

الملحق رقم 04: رحلة هينري دوفريي

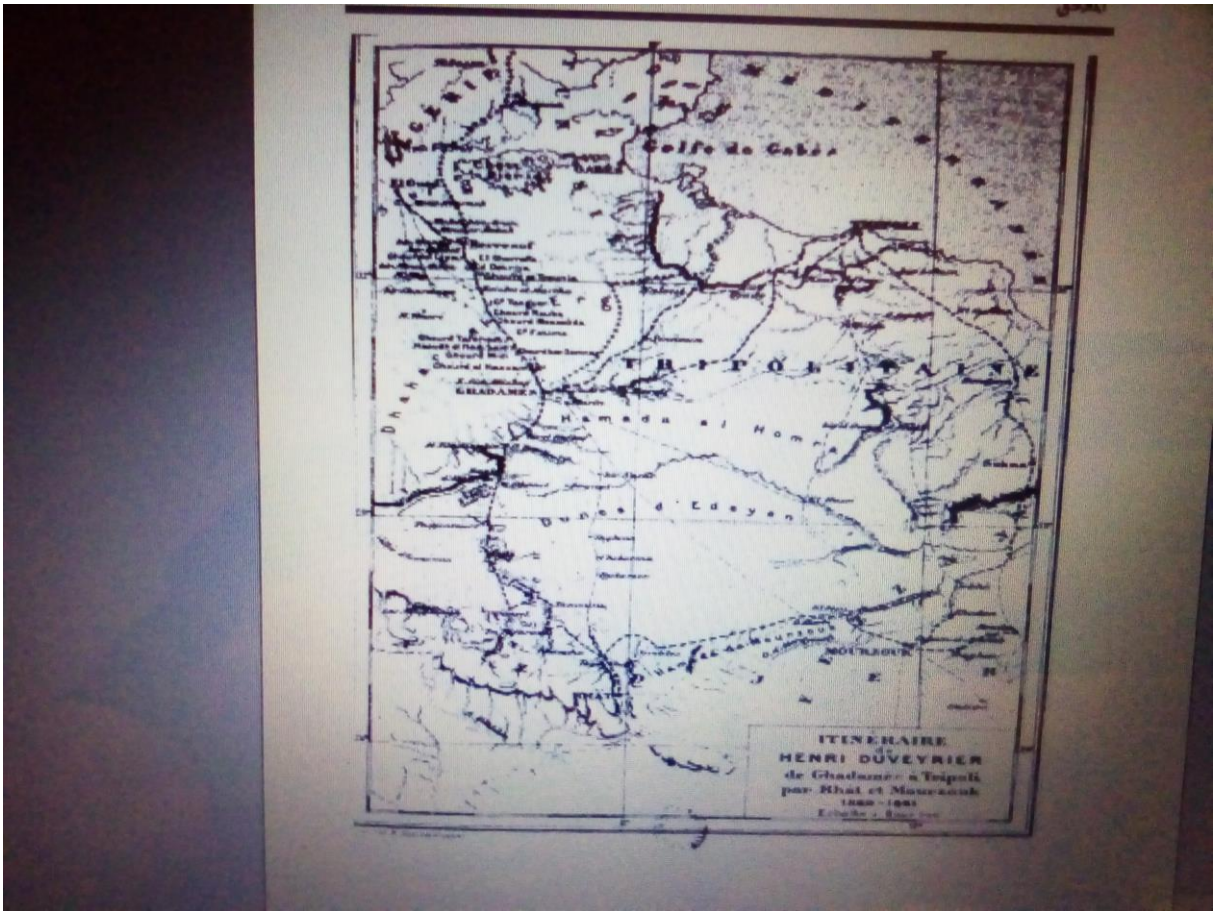

Vuillot .p ,op.cit ,p67

الملحق رقم (05): معركة إقسطن أو لفقيرة

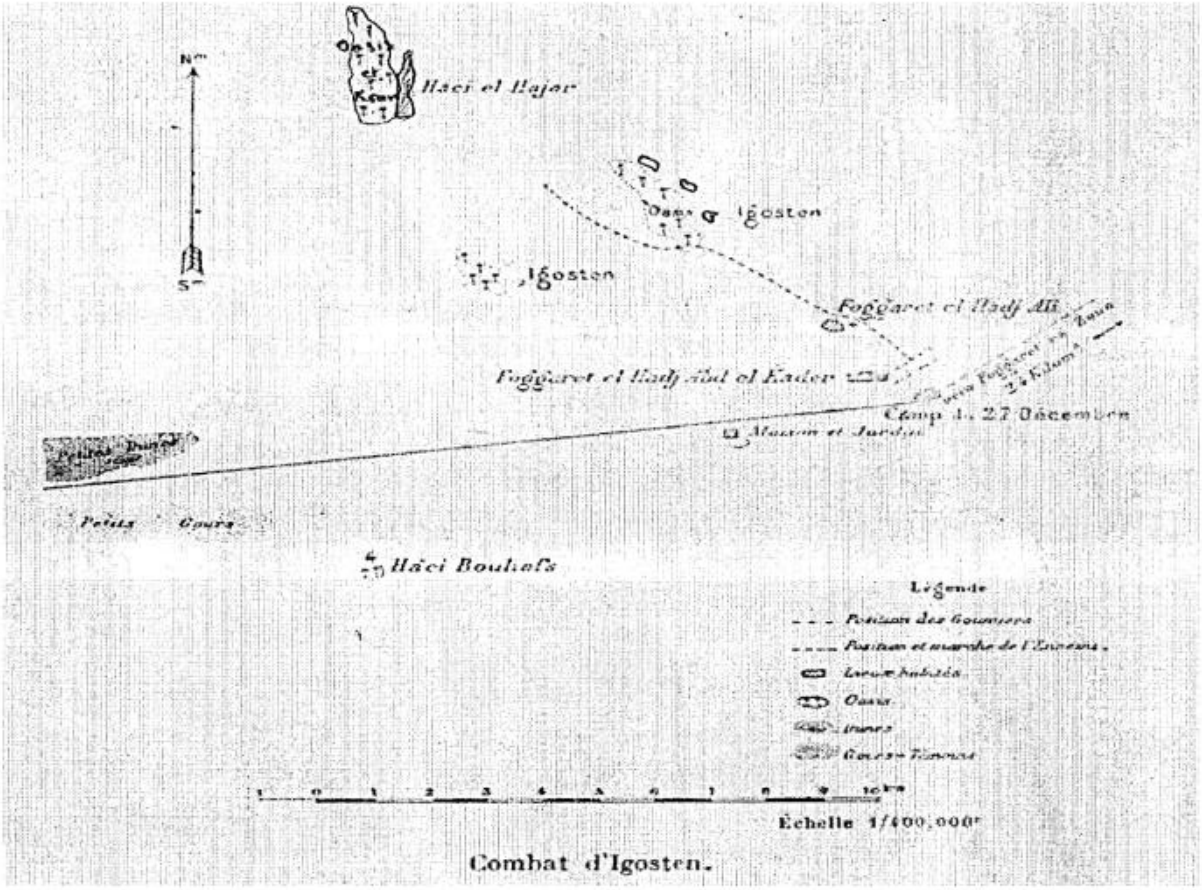

Combat d'Igosten.

Colonel D'eu, Op.cit, p04.

الملحق رقم (06): معركة إينغر، 1900

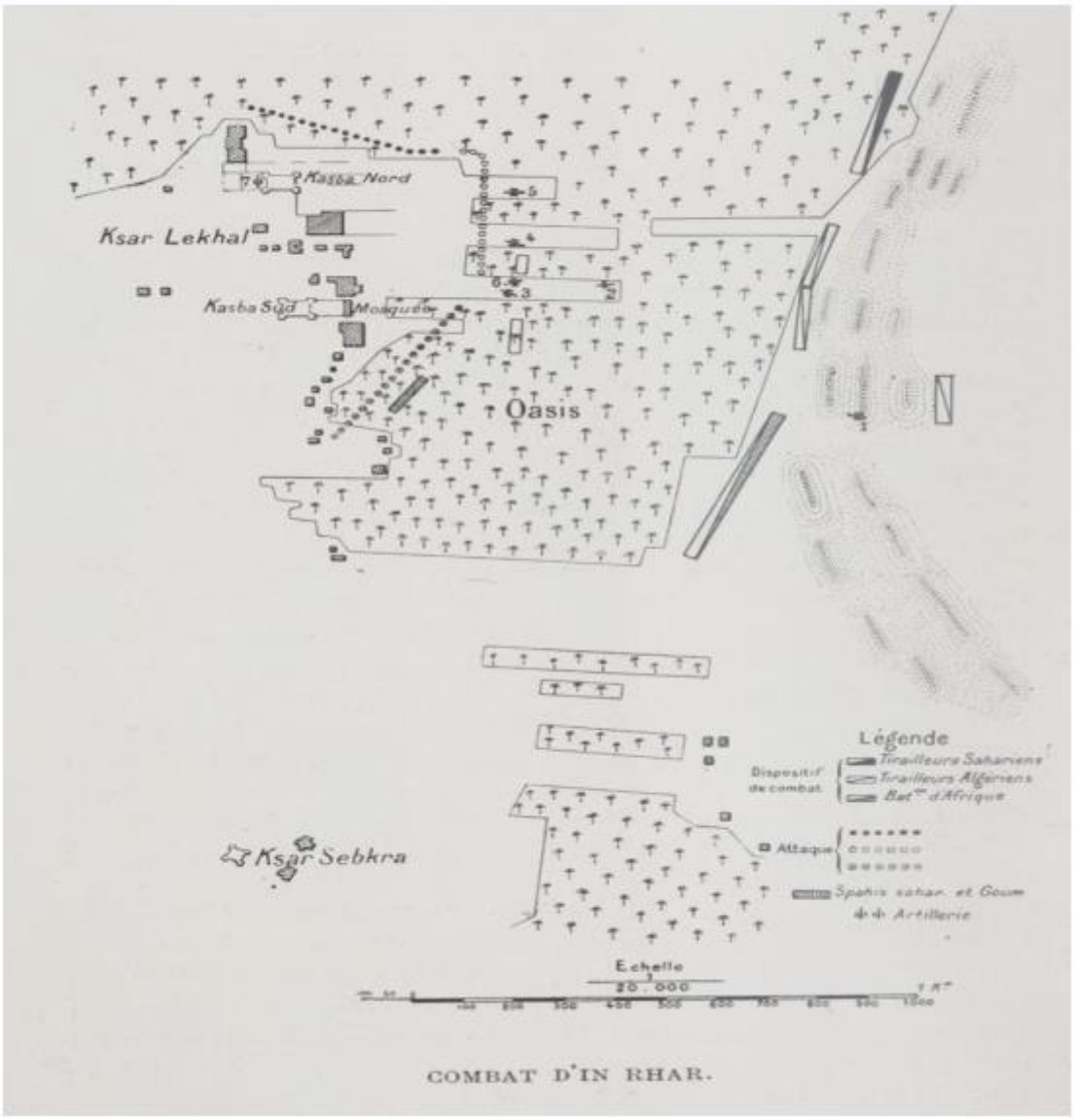

Colonel D'eu, Op.cit, p44..

قائمة المصادر والمراجع

قائمة البيبليوغرافيا:

أولا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- المصادر المخطوطة:

1. البداوي محمد بن عمر، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة المخطوطات بن حسان زاوية تينلان، بأدرار.

2. التمنطيطي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التواتي، ذرة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي بكوسام، بأدرار.

3. الطاهر الإدريسي أحمد، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار تواة ومن دفن فيها من الأوليا والصالحين والعاملين التقاة، مخطوط بزاوية تسفاوت، بأدرار.

2- المصادر المطبوعة:

4. ابن بطوطة عبد الله ابن محمد، ابن بطوطة ورحلاته، تح: حسين المؤنس دار المعارف، القاهرة، 2003.

5. ابن بطوطة محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق على المنتصر الكتاني، ج2، ط4، مؤسسة الرسالة، 1985م.

6. ابن حوقل: صورة الأرض، طبعة بريل، ليدن، 1938م.

7. أبو العباس أحمد خالد الناصري، الإستقصار لأخبار المغرب الأقصى. الدولة المرابطية والموحدية، ج2، تح: جعفر الناصري ومحمد النصاري، دار الكتاب، المغرب، 1997.

8. أبو سالم عبد الله بن محمد العياش، الرحلة العياشية1661-1663م، ج1، تج وتقديم: سعيد آل سليمان القرشي، دار السويدي، ط1، ابوظبي، 2006.

9. الأغواطي الحاج بن الدين، رحلة الأغواطي الحاج بن الدين في شمال إفريقيا والسودان والذريعة ضمن كتاب مجموع الرحلات الجزائرية، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

10. التونسي محمد بن عمر، تشحيذ الأذهان بسيرة العرب والسودان، تح: محمد عساكر ومصطفى محمد مسعد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965.

11. حسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد عبد الرحمن حميده، مكتبة الأسرة 2005.

12. الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1976.

13. الشيخ مولاي التهامي الغثياوي لفت الأنظار ما وقع من النهب والتخريب والدمار لولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013.

14. الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 2006، ج6 ج7.

15. عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، ط، هو داس، باريس، 1981.

16. عبد الرحمن تشايجي، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، د.ط، د.م، تر: علي إعزازي.

17. الفشتالي عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، عبد الكريم، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب، 1972.

18. كربخان مارمول، إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد زينبر و محمد الأخضر و آخرون ، الرباط،المغرب، دار المعرفة للنشر، 1989، ج3.

3- المراجع باللغة العربية:

19. ابراهيم مياسي، احتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية1837-،1930 دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

20. إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912) ، د.ط، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.

21. أحمد بن الصافي جعفري، من تاريخ توات، أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، د س.

22. إسماعيل العربي الصحراء الكبرى وشواطئها، د.ط، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.

23. اندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة إسطنبولي رابح ومنصف عاشور، د.ط، د.م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

24. حسن مرموري، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، ط1، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، 2010.

25. دحمان تواتي واخرون، دور اقاليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956- 1962، دار النشر.

26. عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1 دار علي بن زيد للطباعة والنشـــر، بسكرة الجزائر، 2016.

27. عبد الله مقلاتي، رموم محفوظ، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة الغربية بإفريقيا الغربية، دار الشروق، الجزائر، 2009.

28. علي ابراهيم عيسى، الفكر الجغرافـــي والكشـــوف الجغرافيـــة، د.ط، دار المعرفـــة الجامعيـــة الإسكندرية، 2000.

29. عميراوي أحميدة، موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين ميلة، 2004.

30. العياشي أبو سالم، ماء الموائد، ج1، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1977م.

31. الغالي غربي، مقاومة الطوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية (1881-1891).

32. فرج محمد فرج، اقليم توات خلال القرنين 18 و 19م، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسســـة الوطنية للكتاب الجزائر، 1977.

33. القاسم سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول، ط 1، دار الغرب الإسلامي، د م، 1998.

34. مبارك بن الصافي الجعفري، العلاقات الثقافية بين التوات والسودان الغربي خلال القـــرن 12ه، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

35.

36. محفوظ رمروم، الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمواجهة العسكرية الثقافية، جامعة، أدرار.

37. محمد الصّالح حوتيّة، توّات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثـــامن عشر والتاسع عشر الميلادي) ج1، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية. دار الكتـــاب العربـــي، 2007.

38. محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة والثامن عشر والتاسع عشر ميلادي دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج 2، دار الكتاب العربي ، الجزائر، 2007.

39. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والأثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهاد، ج1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

4- الأطروحات والرسائل الجامعية:

40. أحمد بوسعيد، الحياة الإجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازن الجنتوري في القرن 12ه/18م، رسالة ماجستير، جامعة أدرار، 2012/2011ـــ.

41. بهية عبد المؤمن، الحياة الإجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (18-19م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2006/2005.

42. خنفار حبيب، المقاومة الشعبية للتوسع الإستعماري الفرنسي في الجنوب الشرقي في الجزائر من 1850 -1914م، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بالعباس 2019. 2020، ص118.

43.سالمي زينب الحركة العلمية في اقليم توات خلال القرن 08-09ه، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، الجزائر، جامعة أبو بكر بلقايد 2011-2012.

44. سميرة دعاشي، الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وإفريقيا الغربي، ما بين 1850-1945 رسالة الماجستير، جامعة غرداية، 2014-2015.

45. عبد الرحمان بعثمان، القضاء في منطقة توات خلال 17 و18م، أطروحة الدكتوراه، جامعة وهران 1، 2015-2016.

46. عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م، مذكرة دكتورة جامعة الجيلالي يابس سيدي بلعباس 2019-2020.

47. عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات ابان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، اطروحة الدكتوراه، جامعة احمد دراية، ادرار 2018-2019.

48. قومي محمد، دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرن 09- 10 هـ، رسالة ماجستير، جامعة وهران 2014/2013.

المصادر باللغة الفرنسية:

49. Adjudant, Lehuraux, l'Annexe d'In-Salah et la Compagnie Saharienne du Tidikelt depuis leur Création, B.S.G.A.A.N, 1914, 19eme année 1914, 1er Trimestre, Première F, Montegue, Alger.

50. E. Caquiére, La Deuxiéme Reconnaissance du Géneral Serviére au Gourara et au Touat, Bul. C.A.F, 1902, p32.

51. Guillaume De Champeaux, a travers les Oasis Sahariennes, les Spahis Saharienne, Ed.R. Chapelot, Paris, 1903.

52. Henri Deverier, Les Touareg du Nord, Ed Challamel Aini, Paris 1864.
53. M. Dubis, A.Terrier, Les Colonies Françaises, Un Siècle d'Expansion Coloniale, Ed A.Challmel, Paris, 1902.
54. Noucisse Fauco, livre dor de l'algérie, editeurs libraire algérie et coloniale, Paris, 1889.
55. P.N, La Conquête du Touat, Revue du Cercle Militaire, Bull des Réunion d'officiers des Armées de terre et de mer, N20, 18 Mai 1901.
56. VoinotLouis, Le Tidikelt Etudes sur la Géographie les mœurs du Pays, Ed Jacques Gandini, 1995.

المراجع باللغة الفرنسية:

57. Martin A-G-P, les oasis saharaennes, (Gourara-Touat Tidiklt), le primerie algérienne, Alger, 1908.

الملتقيات والمجلات:

58. بقادر عبد القادر، جهود علماء توا في الدرس اللغوي خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين دراسة في الأنماط والأشكال، مجلة الأثر، ع: 19، جانفي 2004.

59.بن واز مصطفى، المستكشفون الاوروبيون للصحراء الجزائرية ("جيرهاد روهلفس واسكار لانز" نموذجان)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع 11، 2014.

60. د. رفاف شهرزاد، الاستكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية من القرن 19م، المجلد الأول، ع خاص أفريل 2019، جامعة بشار 2019.

61. عبد القادر بوباية، دور الرحالة والمستكشفين في عملية التوسع في الصحراء الجزائرية مقال منشور في مجله العصور الجديدة العدد 6 عدد خاص بخمسينية الاستقلال، 2012.

62.عبد المالك طاهري، الرحالة والمستكشفون الفرنسيون في توات خلال القرن التاسع عشر ودورهم في احتلال المنطقة، مجلة العصور الجديدة، المجلد 10.

63. هقاري محمد، دور سكان منطقة ازجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر العدد 124، جوان ،2016.

الموسوعات والأطالس:

64.الأطلس العالمي، المعهد التربوي الوطني والديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر، ب–ت.

65.سليمان الطيب محمد، موسوعة القبائل العربية. مج1 مج2 ط2، دار الفكر العربي. 1997م.

66.عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية، الرباط، 1396هـ/1976م.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

الشكر .....
الإهداء .....
قائمة المختصرات .....
المقدمة ..... ا
المدخل: لمحة تاريخية وجغرافية عن إقليم توات 04
الفصل الأول: أوضاع إقليم توات قبيل الإحتلال الفرنسي 14
المبحث الأول: الحياة الإجتماعية في الإقليم 15
المبحث الثاني: الوضع السياسي 27
المبحث الثالث: الحياة الإقتصادية 30
المبحث الرابع: الحياة الثقافية والعلمية 37
خلاصة الفصل الأول 43
الفصل الثاني: الإحتلال الفرنسي في إقليم توات ورد الفعل المحلي 44
المبحث الأول: الرحلات الإستكشافية التجسسية 45
المبحث الثاني: التوسع الفرنسي في منطقة تيديكلت 56
المبحث الثالث: التوسع الفرنسي في توات الوسطى وقورارة 66
خلاصة الفصل الثاني 75
خاتمة 76
الملاحق 78
قائمة المصادر والمراجع 83
فهرس الموضوعات 90
ملخص المذكرة 91

ملخص المذكرة:

توات من الأقاليم الصحراوية بالجنوب الغربي الجزائري، تتميز بالتنوع في تركيبته البشرية وبعاداته وتقاليده يختلف بها عن المناطق المجاورة لهم وبمدن وحواضر ذات إشعاع علمي وثقافي. كما شهدت منطقة توات تطورا في الحياة الاقتصادية والعلمية.

ونتيجة لتدهور الأوضاع السياسية للموقع الاستراتيجي الذي يتمتع به الإقليم جعل من فرنسا تسعى إلى بسط هيمنتها عليه مع نهاية القرن 19م إلى أن تواتيون رفضوا هذا التوغل وهذا ما نهدف إليه في دراستنا لتسليط الضوء على المقاومة الشعبية في إقليم توات بحيث، أرسلت فرنسا البعثات والرحالات الاستكشافية إلى المنطقة من أجل تسهيل عملية الاحتلال إلى أنها جوبهت بمقاومة شعبية مستميتة وشرسة كمقاومة الدغامشة ومطارفة ومعركة شروين إلى أن كل هذه المعارك فشلت ونجحت هذه الأخيرة في بسط سيطرتها على الإقليم واحتلاله.

Note summary:

Tawat is from the desert regions of southwestern Algeria. It is distinguished by its diversity in its human composition, customs and traditions, in which it differs from the neighboring regions and cities and metropolises with scientific and cultural radiation. The Touat region has also witnessed a development in economic and scientific life.

As a result of the deterioration of the political situation of the strategic location that the region enjoys, France sought to extend its hegemony over it at the end of the 19th century CE, until Touatis refused this incursion. The region, in order to facilitate the occupation process, was confronted with desperate and fierce popular resistance, such as the Dagamsha resistance, Matarfa and the Battle of Sherwin, until all of these battles failed and the latter succeeded in extending its control over the region and its occupation.